التعليم المستمر بين التربية الإسلامية والتربية البرجماتية (كمدخل لتحقيق التنمية المستدامة)

الدكتور / رفعت عمر عزوز

أستاذ أصول التربية المساعد بجامعة قناة السويس

كلية التربية بالعريش

مجلة كلية التربية بدمنهور . جامعة الاسكندرية المجلد الثاني العدد (٣) لسنة ٢٠١٠

مقدمة

الاهتمام الدّولي بالتعليم المستمر على مستوى الممارسة والتنظير لم يبدأ من فراغ، وإنما هو نتاج قناعات متأصّلة وإيمان عميق بأن التعلم حق للأفراد طيلة حياتهم، وأنه جزء لا يتجزّأ من حقوقهم، وأنهم قادرون عليه، وأنه الكفيل بمواجهة التحدّيات الكبرى وتنمية الإنسان القادر على البناء وعلى البذل والعطاء من أجل تنمية مستدامة لنفسه ومجتمعه الذي يعيش فيه، فتنمية الإنسان تعلو في أهّميتها وقيمتها على تنمية العناصر المادية في التنمية، لأن هذه العناصر المادية لا قيمة لها في غيبة الإنسان الواعي القادر على حسن استثمار واستخدام هذه العناصر والموارد والإمكانات المادية، وتنمية الإنسان تعني تنمية معارفه ومهاراته واتجاهاته المرغوبة، وتطوير خبراته وتوسيع مداركه والانتفاع بمستواه الفكري والثقافي ومستوى الأّمة المستمر، حتى يستطيع الإسهام بفاعلية في تنمية نفسه ومجتمعه . (عمر الشيبانى : ١٩٧١،٩٨)

وقد صحبت ظاهرة التعليم المستمر حياة الإنسان على سطح الأرض منذ بدايتها،إذ أنه دوماً يعمل على تطوير حياته بتعلٌمه من خبراته الخاصة وخبرات الآخرين من حوله، فهو في حالة تعليم مستمر من الحياة وللحياة، وما ظهور التعليم النظامي إلاّ لسدالقصور في التعلٌم من الحياة والوفاء بحاجات البشرية الثقافية المتعاظمة بنقل التراث للأجيال بطريقة منتظمة.

لكن التعليم النظامي وبعد تجربة طويلة عجز عن استيعاب جميع فئات المجتمع، وعن ملاحقة جميع التغيُّرات الثقافية والاجتماعية والعلمية، ذلك لأنه ركّز على المعرفة دون اتصالها بالحياة وتطبيقاتها وآثارها على الإنسان وسلوكه، بمعنى آخر عجز التعليم النظامي عن تحقيق الأهداف المرجوة منه. (عمر الشيبانى : ١٩٧١، ٩٦)

من هنا بدأت التربية الحديثة تهتم بالمشروعات التربوية التي تسد الثغرات التي خلقها التعليم النظامي، متجاوزة في هذه المشروعات التنظيم العلمي المنطقي للتخصصات المختلفة، والتنظيم الزمني والعمري في مراحل تعليمية نظامية محددة، اتخذت هذه المشروعات مصطلحات ومسميات متعددة مثل : محو الأمية، تعليم الكبار، تعليم المرأة، التدريب المهني، التعليم المفتوح ... وغيرها من مسميات هدفها جميعاً تقديم المعرفة والعلم والتدريب لمن فاته ذلك ولمن أراد المزيد .

كانت بداية تبلور مفهوم التعليم المستمر من خلال الجهود التي بذلت لتعليم الكبار في العالم من أجل تعويض ما فاتهم تعليم ومحو أميتهم، وتمكين الذين تلقوا تعليماً أساسياً من تكملة معرفتهم، وتطويرهم ثقافياً ومهنياً، وتأهيلهم لمواجهة مطالب العمل والإنتاج .

ومن خلال المؤتمرات التربوية الدولية منذ عام ١٩٦٠م التي انعقدت بشأن تعليم الكبار، وفي عام ١٩٦٨م في المؤتمر الثاني لتعليم الكبار الذي دعت له منظمة الأمم المتحدة للتربية والثقافة والعلوم بدأت المناداة بالمفهوم الآتي للتربية المستمرة مدى الحياة: "أنْ تشمل جميع مستويات الأنظمة التربوية وجميع أشكال التربية اللامدرسية، بل وتشمل جميع السياسات للتطوير الثقافي، وأنْ يكون التخطيط للتربية المستمرة متكاملاً مع التخطيط الاقتصادي والاجتماعي الشامل، وحتى تستلهم التربية المستمرة روح المشاركة الواسعة لا بُدَّ من تنفيذ بيان التعاون الثقافي الدولي. (المنظمة العربية للتربية والعلوم والثقافة : ١٩٨٦ : ٣٣)

وعقد الندوات والمؤتمرات أهمها: "الندوة العلمية للتعليم المستمر والتنمية" في أبريل ١٩٨١م، والتي هدفت لتعريف دور الجامعات في التعليم المستمر وتنمية المجتمع، وإلقاء الضوء على معوقات التعليم المستمر ومشكلاته، وإثارة اهتمام الجامعات بالتعليم المستمر على المستوى العربي والعالمي. (محيى الدين صابر : ١٩٩٩، ٦٩)

وأصبحت خدمة التعليم المستمر موكولة إلى الجامعات بقسم يختص بذلك ألا وهو خدمة المجتمع والبيئة ذلك القسم الذي يتولى التعليم المستمر وتنمية المجتمع ، وهو يعمل على تقديم العديد من الخدمات مثل محو الأمية وتعليم الكبار، الآن يوجد في كل كلية مركز يسمى خدمة المجتمع يعمل على تقديم كل أشكال التعليم المستمر لخدمة المجتمع .

مشكلة الدراسة

إن العصر الذي نعيشه مليء بالتحّديات التي تواجه الإنسان كل يوم، فكل يوم تظهر على مسرح الحياة معطيات جديدة تحتاج إلى خبرات وأفكار ومهارات جديدة، وآليات جديدة للتعامل معها بنجاح، أي أنها تحتاج إلى إنسان مبدع، ومبتكر، بصيرته نافذة، قادر على تكييف بيئته الطبيعية والاجتماعية وفق القيم والأهداف المرغوبة، ولا يتحقّق هذا بدون تعليم مستمر يواكب متطلّبات العصر ويواجه تحّدياته، تعليم يكون نقطة الانطلاق الأساسية لتحسين نوعية الحياة، ولتحقيق التنمية المستدامة ومساعدة الأفراد والجماعات على تحقيق الأهداف التنمّوية للمجتمع، فإن التعليم المستمر وحده كفيل بتحقيق التنمية المستدامة بكافة أشكالها، لأنه جزء لا يتجزّأ من طبيعته البشرية، كما يرتبط بهذا المفهوم ضرورة الربط بين التّربية والحياة، وهذا يعني أن المراحل التعليمية التقليدية ما هي إلا منظومة جزئية من المنظومات الكبرى التي يتعلم من خلالها الفرد طيلة حياته، وينبغي بالتالي ألا تعدّ المنظومة الوحيدة للتعليم والتعلم (**ropely,A,J&Dave,RH:1977)** و(عبد الله عبد الدائم : ١٩٨٨)، وهذا يعني بطبيعة الحال أن المجتمع بكل مؤسساته وأجهزته يصبح مدرسة كبرى يتعلم من خلالها الفرد طيلة حياته.

ففي المؤتمر الّدولي الثاني لتعليم الكبار المنعقد في مونتريال، تقّرر اعتبار التعليم مدى الحياة أحد أهداف السياسات المقبلة للحكومات، وأكّد ذلك مؤتمر

طوكيو ١٩٧٢ الذي نظر إلى تعليم الكبار في ضوء فكرة التعليم المستمر، واعتبره نشاطا ممتدّا مدى الحياة وهذا ما أكد عليه كل من (نبيل عامر صبيح : ١٩٩٨، ٦٢-٦٦)، و (H.R , Dave ,1976) ولعل من نافلة القول، أن نذكر بأن الدين الإسلامي الحنيف قد سبق وأكّد على هذه المسألة قبل هذا المؤتمر بقرون من الزمن .

وتحقيقاً لمبدأ "المجتمع المتعلّم" أصبح التعليم المستمر مطلباً استراتيجياً لا بُدَّ للجامعات من الإسهام الفاعل فيه، لذلك بدأت الجامعات العربية تتحول إلى مركز للإشعاع الثقافي في المجتمع، ونصت لوائحها كما ذكرنا على ربط الجامعة بالمجتمع هادفة إلى تعليمه وتنميته، وأخذت الجامعات بمبدأ التربية المستمرة عبر مسميات مختلفة لمؤسساتها.

وحثت العديد من الدراسات على أهمية التعليم المستمر ومنهم دراسة (نور الدين محمد عبد الجواد : ٢٠٠٤) على أن التعليم المستمر واحد من أهم الموضوعات التربوية التي شغلت التربويين في العقود الأخيرة ويذكر ايدجارفور "إن التربية لا يمكن أن تعد الإنسان القادر على تحمل الصعاب ومجابهة العقبات إلا إذا كانت شامله ومستمرة (Edgar Foure and all,1972,182) و في عام ١٩٧٢صدر تقرير نص على " إن التعليم المستمر سوف يكون المبدأ الذي يوجه حركة التجديد التربوي في المستقبل في الدول المتقدمة والنامية، وان القرارات التي تتخذ بشان التربية المستمرة تعد من القرارات الفاصلة (Gropely,A,J:1976,19) فمنذ ظهور هذا التعليم وأصبح التعليم المستمر واسع الانتشار وأكدت دراسة محي الدين على أهمية التعليم المستمر لكونه تعليم بنائي متكامل قادر على تمكين كل شخص من تطوير شخصيته خلال سنوات حياته . (محيى الدين طوق : ٢٠٠٤، ٣)

في ظل هذه التحديات الواضحة، التى تؤكد على أن التعليم المستمر يعد مطلبا من مطالب التنمية فى عصرنا الحالي ، يسعى الباحث إلى الإجابة عن

التساؤل الرئيس التالي: ما دور التعليم المستمر في تحقيق التنمية المستدامة من وجهة نظر التربيتين الإسلامية والبرجماتية ؟ ويتفرع عن هذا التساؤل الأسئلة التالية :

- ما الملامح العامة للتعليم المستمر من وجهة نظر التربيتين الإسلامية والبرجماتية؟
- ما آليات الاستفادة من التعليم المستمر من وجهة نظر التربيتين الإسلامية والبرجماتية؟
- ما التحديات التي تواجه التعليم المستمر، وكيفية التغلب عليها من وجهة نظر التربيتين؟

منهج الدراسة.

يستخدم الباحث المنهج الوصفي التحليلي الذي يقوم على التسلسل المنطقي للأفكار، و ذلك من خلال الوقوف على استخلاص الأفكار من النصوص والقراءات الأدبية المختلفة، وتحليلها تحليلا منطقيا حتى الوصول إلى آليات تساعد على تحقيق الهدف المنشود من البحث .

أهداف البحث

- التعرف على دور التعليم المستمر في تحقيق التنمية المستدامة من وجهة نظر التربيتين الإسلامية والبرجماتية.
- الكشف عن ملامح التعليم المستمر في التربيتين الإسلامية والبرجماتية من خلال الأدبيات التربوية .
- التعرف على آليات توظيف التعليم المستمر فى التربيتين الإسلامية والبرجماتية لتحقيق تنمية مستدامة
- التعرف على معوقات التعليم المستمر في التربيتين والتي تحول دون تحقيقه للتنمية المستدامة.

- التوصل إلى صيغة تتوحد فيها المصطلحات المتعددة للتعليم المستمر تحتوى على تكامل يكون أكثر فاعلية وأفضل عطاء .

أهمية البحث :

- تنبع أهمية البحث من كون التعليم المستمر مفهوم شامل يضم فرص التعليم كله نظامي أو غير نظامي .
- التعليم المستمر، مطلب تتزايد الحاجة إليه يوما بعد آخر لمواجهة التحدّيات الكبرى التي تواجه الاقتصاد والعمل والتقنيات والمعلومات والمحافظة على الذات والهوية .
- التعليم المستمر هو المبدأ الذي يوجه حركة التجديد التربوي مستقبلا في كل الدول .

حدود البحث :

تقتصر حدود هذه الدراسة علي الأدبيات التربوية التي تناولت كل ما يتعلق بالتربية المستمرة وما يندرج تحتها من مرادفات من أبرزها على سبيل المثال لا الحصر ما يخص موضوع البحث، التعليم المستمر في التربيتين الإسلامية والبرجماتية .

المصطلحات

- **التعليم المستمر:**

يرى الباحث أن تعريف "جون ديوي " للتعليم هو الأقرب لتعريف التعليم المستمر فقد عرفه بأنه " التعليم الحقيقي الذي يأتي بعد أن نترك المدرسة، ولا يوجد مبرر لتوقفه قبل الموت" . (بركات على بركات : ٢٠٠٦، ١٥٦بتصرف)

كما عرفه (Skager,R:1968,16) " بأنه نظام متكامل يتيح فرصا تعليمية لتغطى حياة الفرد كاملة بهدف تمكين الفرد من تحقيق ذاته وإثراء حياته .

التعريف الإجرائي :

يرى الباحث أن التعليم المستمر هو المنهج الشامل لحياة الفرد ونظامه التعليمي ومكوناته مع كل الطرق التربوية المتوفرة لدى الإنسان من طفولته حتى شيخوخته، ويبدأ ببدء الحياة وينتهي بانتهائها.

- **التربية البرجماتية:**

يتبنى الباحث تعريف جون ديوى للتربية وهو(التربية هي الحياة نفسها وليست مجرد الإعداد للحياة، وبأنها عملية نمو وعملية تعلم وبناء وتجديد مستمرين للخبرة (عمر الشيبانى: ١٩٧١، ٣٤٩) .

- **التربية الإسلامية:**

" تعرف بأنها منهج متكامل للحياة، وللنظام التعليمي بأكمله، ومكوناته" (على خليل أبو العينين : ١٩٨٨، ١٣٣) .

- **التنمية المستدامة:**

يتكون مصطلح التنمية المستدامة من لفظتين، هما: التنمية، والمستدامة فالتنمية في اللغة مصدر من الفعل (نّمى)، يقال: أنميت الشيء ونّميته: جعلته ناميا (ابن منظور، دت، ٣٤١)' أما كلمة (المستدامة) فمأخوذة من استدامة الشيء، أي : طلب دوامه، وكل ما يسهم في تقدم المجتمع تقدما شاملا ومستمرا .(ابن منظور : دت، ٢١٣، ٣٤١)

الخطوات الإجرائية للبحث :

المحور الأول : التعليم المستمر في التربية الإسلامية:

- التعليم المستمر في القران والسنة النبوية.
- أهداف التعليم المستمر .
- مؤسسات التعليم المستمر في الإسلام
- سمات التعليم المستمر
- أهمية التعليم المستمر كمدخل لتحيق التنمية المستدامة

- مبررات التعليم المستمر .
- التحديات التي تواجه التعليم المستمر .

المحور الثاني : التعليم المستمر فى التربية البرجماتية:

- مفهوم التربية البرجماتية .
- التعليم المستمر في التربية البرجماتية .
- موائمة التعليم المستمر لأهداف التربية البرجماتية
- آليات تطبيق التعليم المستمر من وجهة نظر التربية البرجماتية.

المحور الثالث : التنمية المستدامة ودور التعليم المستمر فى تحقيقها

- لمحة عن التنمية المستدامة .
- ملامح التنمية المستدامة فى التربية البرجماتية
- العلاقة بين التعليم المستمر في التربية الإسلامية و تحقيق التنمية المستدامة
- العلاقة بين التعليم المستمر في التربية البرجماتية و تحقيق التنمية المستدامة.

الإطار العام للدراسة :

التعليم المستمر سمة من سمات العصر بدليل أنه احتل مكانة في الأدب التربوي بسبب الانفجار المعرفي وما تبعه من تطور تقني لا سيما في تقنيات الاتصال. وتطور مفهوم التعليم المستمر ليعني فرص التعليم الرسمي وغير الرسمي التي توفر للفرد الاستزادة من التعليم والثقافة مدى حياته مما يمكنه من زيادة كفايته وتأدية واجباته الاجتماعية والمهنية، وبالتالي يشارك في زيادة الإنتاج وتقدم المجتمع في مختلف المجالات.(محيى الدين طوق : ٢٠٠٤، ٣).

وتطور المصطلح تطورا كبيرا بكل مترادفاته هذا التطور جعل التربويين يتوقعون أنْ يكون للتعليم المستمر السيادة في الاهتمامات التعليمية في الدول المتقدمة والنامية معاً. وانعكس ذلك على اهتمام الجامعات التي تعد من أهم

المؤسسات التعليمية التي تفاعلت مع مبدأ التعليم المستمر ونصت لوائح معظم الجامعات على أنَّ من أهدافها ربط الجامعة بالمجتمع وتنميته .

إنَّ مفهوم التعليم المستمر في التربية الإسلامية مفهوم راسخ وأصيل للدلالة الواضحة عليه في القرآن الكريم والسنة المطهرة على سبيل المثال قوله تعالى: ﴿وَقُل رَّبِّ زِدْنِي عِلْمًا ﴿١١٤﴾﴾ (طه، ١١٤) وقوله ﷺ: (طلب العلم فريضة على كل مسلم). (النووي : ١٩٩٧، ١٢٤)

المحور الأول : <u>التعليم المستمر في القران الكريم والسنة النبوية :</u>

التعليم المستمر بمفهومه الواسع المتكامل ومضامينه الحديثة، ليس غريبا على الحضارة العربية الإسلامية. فالتراث العربي الإسلامي يزخر بالشواهد والحركات التربوية المختلفة التي تعكس الجذور التاريخية للتربية المستدامة للكبار في كل مراحل تطور الفكر العربي الإسلامي ابتداء من مجالس العلم والعلماء وفي المساجد والأروقة إلى المدارس الفكرية والتربوية التي شاهدتها الزيتونة والأزهر الشريف والمدرسة المستنصرية. إذ كان ولا يزال لكل من هذه المؤسسات العربية الأصيلة فلسفتها الخاصة وتراثها الخالد وإبداعاتها المشرقة ومرتكزاتها العلمية المستمدة من تعاليم الدين الإسلامي الحنيف وأصالة الحضارة العربية، التربية في المجتمع المسلم أساسية مصدرها العقيدة، والعلاقة بين الدين الإسلامي والتعليم علاقة عضوية، إذ أنَّ الدين في جانب من جوانبه "عملية تعليمية (نبيل عامر صبيح : ١٩٩٨، ٦٢-٦٦)استناداً للآيتين الكريمتين ﴿وَقُل رَّبِّ زِدْنِي عِلْمًا ﴿١١٤﴾﴾، ﴿وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٨٥﴾﴾ و الإسلام يطلب من المسلم الاستزادة من العلم طوال حياته بقصد تمكينه من تحقيق رسالته على الأرض التي استخلف فيها وهذا يعد من آليات التعليم المستمر.

والدين الإسلامي الحنيف وما تبعه من حضارة ملأت الشرق والغرب وبثت النور في كل نواحيهما، قد دعا إلى فكرة "التعليم المستمر" _ اطلبوا العلم من المهد إلى اللحد _ طلب العلم فريضة على كل مسلم مسلمة " " من سلك طريقاً يلتمس به علماً سهل الله له به طريقا إلى الجنة " وإنما العلم بالتعلم ". (أبو الفضل شهاب العسقلاني : ١٩٥٩، ٥١٢)

وكل هذه الأحاديث حثت على طلب العلم غير المحدود بزمان أو مكان، مما يدل على ضرورة استمرارية التعليم لما يحققه من تمكين للفرد في حفظ دينه ودنياه فيعمل لدنياه كأنه يعيش أبداولآخرته كأنه يموت غداً ، وفي استمرار التربية والتعليم ضمان لاستمرارية القيادية والتقدم والوقوف خلف مقود السفينة بكل تمكن للوصول لبر آمان .فالتربية الإسلامية، تربية مستمرة تستثير المسلم من أعمق أعماق كيانه،لأنها تتصل بوجوده كمسلم يسعى إلى تحقيق إنسانيته وتنهض برسالته في الكون . وتكمن قيمة التعليم المستمر في الإسلام في الاستفادة مما يتعلمه الإنسان . (عبد الغنى عبود : ١٩٧٦)

ولقد وضع الإسلام طلب العلم والتعلم في مرتبة لم تسبقه إليه أمة أو حضارة حيث جعله فرضا على كل مسلم ومسلمة ومن المهد إلى اللحد. وفضَّل العالِم على العابِد، وفرض على كل أسير متعلم من أسرى بدر أن يعلم عشرة من أبناء المسلمين عوضا عن دفع الفدية. وهذه الاستشهادات تدلل على حضارية الرؤية الإسلامية منذ إرهاصاتها الأولى وإدراكها لأهمية البعد التعليمي في حياة الشعوب ومستقبلها. وهى دعوة كل فرد في أن ينفق عمره عالما متعلما وأن يعمل بما يتعلم وأن يطابق سلوكه ما تعلمه وأن يستزيد من العلم دون أن يشبع (عبد الفتاح جلال : ١٩٧٧)، لأن الإنسان ولد لا يعلم شيئا فهو يسعى إلى اكتساب العلم طيلة حياته .

ولقد حرص المصطفى صلى الله علية وسلم على أن يبين أن التربية تكمن قيمتها في استمراريتها طوال حياة الإنسان من المهد إلى اللحد فالإنسان يظل

متعلما ومتلقيا طوال حياته يقرا في كل المجالات، وفى حديث الرسول المربى صلى الله علية وسلم، إلى وفد عبد القيس قالوا : مرنا بفضل نخبر به من وراءنا وندخل به الجنة فأمرهم- الرسول صلى الله علية وسلم – أن يحفظوا الإيمان والعلم ويخبروا من وراءهم بما أراد وقال / أحفظوا واخبروا بهم من وراءكم وقال مالك بن الحويرث، قال لنا الرسول صلى الله علية وسلم : "ارجعوا إلى أهليكم فعلموهم ." (أبو زكريا يحيى النووى : ١٩٩٧، ١٢٧)

ويبدو في هذا الحديث الحرص على مدى استمرارية التعليم وهذا يعد أساس التعليم المستمر في الإسلام من حيث فهم الأمور وتعميمها على جميع الأهل وهذا تعمل التربية الإسلامية على أن يستخدم الفرد كل قدراته واستعداداته استخداما متكاملا " ويحدث توازنا بين مادياته ومعنوياته"، (على القاضى: ١٩٩٧، ٥٩) ولا تكتفى التربية الإسلامية بهذا فحسب بل يمتد دورها إلى حرص الإنسان على أن ينتفع بما تعلمه، وعلى أن يعطى ويؤثر ما تعلمه فيمن حوله بما تعلمه، وعلى أن يستزيد من العلم بالقراءة والبحث والاطلاع، وتكمن قيمة التعليم المستمر في الإسلام في الاستفادة مما يتعلمه الإنسان،لا في تكرار ما يتعلمه دون وعى وفهم.

ونجد أيضاً مبدأ التعليم المستمر راسخاً في كثير من أحاديث الرسول ﷺ، منها قوله: "من خرج في طلب العلم فهو في سبيل الله حتى يرجع"، ومن الأحاديث النبوية الشريفة الدالة على استمرارية طلب العلم ومراجعته مدى الحياة ما رواه أبو موسى الأشعري ﷺ عن النبي ﷺ أنه قال: (تعاهدوا هذا القرآن فو الذي نفس محمد بيده لهو أشد تفلتاً من الإبل في عقالها).(أبو زكريا يحيى الدمشقي : ١٩٩٧، ٤١٠)

إذاً فالإسلام يرغب في التعليم المستمر، ويمهد إلية برفع مكانة العلماء ﴿ يَرْفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمْ وَٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْعِلْمَ دَرَجَٰتٍ ﴾ (المجادلة، ١١)

ولا تقتصر دعوة الإسلام وحثه المتعلَّم على طلب العلم باستمرار، بل شملت الدعوة المعلم نفسه أنْ يسعى دوماً إلى تعليم غيره دعماً لمبدأ استمرارية التربية، ولذلك يقول ﷺ (أفضل الصدقة أنْ يتعلَّم المرء المسلم علماً ثم يعلِّمه أخاه المسلم). (أبو زكريا يحيى الدمشقي : ١٩٩٧، ٤٢٣)

وفي هذا المعنى يقول معاذ بن جبل ﷺ "تعلَّموا العلم؛ فإنَّ تعلُّمه خشية، وطلبه عبادة، ومدارسته تسبيح، والبحث عنه جهاد، وتعليمه لمن لم يعلمه صدقة، وبذله لأهله قربى، وهو الأنيس في الوحدة، والصاحب في الخلوة " (محمد عبد الحميد عيسى :١٩٨٢، ٢٢٣)، تتجلى أهمية الاهتمام بالتعليم المستمر دون الارتباط بالتعليم النظامي، وهذا ما تدعو إليه التربية المعاصرة من أجل تحقيق "المجتمع المتعلِّم".يتجلى مبدأ هام من خلال هذا الحديث ألا وهو مبدأ الاستقلالية لأن التربية الإسلامية لم تكن تقوم يوما على فرض برامج ومناهج معينة على المتعلمين ويضاف إلى ذلك من اتفاق التربية الإسلامية على التعليم المستمر هي في حد ذاتها تربية مستمرة مدى الحياة "تستثير المسلم من أعماق كيانه،لأنها تتصل بوجوده كمسلم، والتربية المستمرة هي "الأساس في الإسلام ومن هذا الأساس تتفرع منه أنواع التربية الأخرى،بينما في التربية المعاصرة، تعتبر التربية المدرسية هي الأساس أو الأصل ومنه تتفرع التربية المستمرة. (رفعت عمر عزوز : ١٩٩٨، ١٦٨)

وقد أكَّد الرسول ﷺ على التعليم المستمر، فخطب ذات يوم فأثنى على طوائف من المسلمين خيراً ثم قال: "مابال أقوام لا يفقِّهون جيرانهم ولا يعلِّمونهم ولا يعظونهم ولا يأمرونهم ولا ينهونهم" وما بال أقوام لا يتعلمون من جيرانهم ولا يتفقهون ولا يتعظون؟ ·والله ليعلمن قوم جيرانهم ويفقهْ نَّهم ويعظنَّهم ويأمرنَّهُ م وَيْنهْ ُونَّهم، ثم نزل فقال قوم: مَنْ ترونه عني بهؤلاء؟ قال: الأشعريين ··· هم قوم فقهاء ولهم جيران حفاة من أهل المياه والأعراب ··· فبلغ ذلك الأشعريون فأتوا

الرسول ﷺ فقالوا: يا رسول الله ذكرت قوماً بخير وذكرتنا بشر فما بالنا؟ فقال: (ليعلّمن قوماً جيرانهم وليعظنهم وليأمرنهم ولينهونهم، وليتعلمن قوماً من جيرانهم ويتعظُنَّ ويتفقهُنَّ أو لأعاجلنهم العقوبة في الدنيا، فقالوا: يا رسول الله أتفطن غيرهم؟ ... فقال ذلك أيضاً فقالوا: أمهلنا سنة، فأمهلهم سنة ليفقهوهم ويعلموهم ويعظوهم، (محمد معروف الدواليبى : ١٩٨٠، ٣٤)، ثم قرأ عليه السلام هذه الآية: ﴿ لُعِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنۢ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ عَلَىٰ لِسَانِ دَاوُۥدَ وَعِيسَى ٱبۡنِ مَرۡيَمَۚ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَواْ وَّكَانُواْ يَعۡتَدُونَ ٧٨ كَانُواْ لَا يَتَنَاهَوۡنَ عَن مُّنكَرٖ فَعَلُوهُۚ لَبِئۡسَ مَا كَانُواْ يَفۡعَلُونَ ٧٩ ﴾ (المائدة، ٧٨-٧٩)

واستجاب المسلمون وتفاعلوا مع دعوة القرآن الكريم والرسول ﷺ، لطلب العلم فكان المسلم منهم في بداية إسلامه يسعى لتعلم اليسير من القرآن الكريم ليؤدي به الصلاة المفروضة، ويطلب تعاليم الدين الجديد من الرسول ﷺ ومن الصحابة، وقد أوكل الرسول لفئة من المربين تعليم القرآن الكريم عرفوا باسم "القُرَّاء" لذا طلب أهل المدينة بعد بيعة العقبة الأولى من الرسول ﷺ، أنْ يبعث إليهم رجلاً ليفقههم في الدين ويقرئهم القرآن، فبعث إليهم مصعب بن عمير رضي الله عنه.

ولعل ما أوضحه (عبد الجواد نور الدين محمد : ١٩٨٣، ٧) من إدراك الصحابة والفقهاء لأهمية التعليم المستمر والسعي إليه بصفة مستمرة لا فرق في ذلك بين كبير وصغير، يقول الإمام على بن أبي طالب رضي الله عنه: "كل يوم لا أزداد فيه علماً فلا بورك في طلوع شمس ذلك اليوم".(أحمد شلبى : ١٩٥٤، ٢٨٧)

استمر مفهوم التعليم المستمر معمولاً به طوال العهود الأولى، عهد الرسول ﷺ وصحابته والخلفاء الراشدين وعهد التابعين، ثم جاء عهد الكتابة والتأليف في التربية فظهر كُتَّاب ومؤلفون تربويون أشار بعضهم إلى التعليم الذاتي من ذلك

الزر نوجي "ت ٩١٥هـ"، الذي ألَّف كتاباً أسماه "تعليم المتعلِّم طريق التعلُّم"، والملاحظ أنَّ عنوان هذا الكتاب يشابه الشعار الذي اتخذته اللجنة الدولية للنهوض بالتربية عنواناً لتقريرها: "تعلَّم لتكون" موضحين أنَّ خلاص التربية من أزمتها يتطلب أنْ "نعلم الفرد كيف يتعلَّم".(أدجارفور وآخرون : ١٩٧٩، ٢٧٨)

وتواردت آراء العلماء والفقهاء بما يؤكد مفهوم التعليم المستمر، فقد قيل لأحدهم: ما حد التعليم، قال: "حد الحياة"، وقيل للفقيه عبد الله بن المبارك: لو أنَّ الله أوحى إليك تموت العشية فماذا تصنع اليوم؟ قال: "أقوم لأطلب العلم" (أحمد شلبى : دت، ٢٨٩)، قمة العمق في هذا المفهوم الذي يدعو إلى التعليم المستمر في كل وقت وحين . هذا يدلل على أن التربية الإسلامية يعود لها الفضل الأكبر في الحديث عن التعليم المستمر لأنها تستمد شموليتها وصلاحيتها للإنسان في كل زمان ومكان من شمولية الدين الإسلامي.

التعليم المستمر وجد اهتماما واسعا ممارسة وتطبيقاً عملياً صارماً عند المسلمين عبر العصور لتوفر الدافع الإيماني الذي يدفعهم إليه، وهو الدافع الإيماني نفسه الذي مكّنهم من بناء تلك الدولة المترامية الأطراف، وقد استعذب المسلمون المشقة في طلب العلم بمستوى تحمُّلهم نفسه واستعذابهم مشقة الجهاد والشهادة في سبيل الله ونشر دعوة الحق.(أحمد شلبى : ١٩٥٤، ٢٨٩)

هذا الدافع الإيماني هو الذي دفعهم لتقديم العلم استجابة لأمره تعالى، وخوفاً من غضبه وعذابه إنْ هم كتموا العلم ولم يبذلوه للناس:﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَآ أَنزَلْنَا مِنَ ٱلْبَيِّنَٰتِ وَٱلْهُدَىٰ مِنۢ بَعْدِ مَا بَيَّنَّٰهُ لِلنَّاسِ فِى ٱلْكِتَٰبِ ۙ أُو۟لَٰٓئِكَ يَلْعَنُهُمُ ٱللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ ٱللَّٰعِنُونَ ﴿١٥٩﴾ ﴾ (البقرة، ١٧٤)، وفي الحديث (من سئل عن علم علمه ثم كتمه ألجم يوم القيامة بلجام من نار). (أبو زكريا يحيى الدمشقي : ١٩٩٧، ٤٢٣)

ومن الشواهد على رسوخ التعليم المستمر، في التربية الإسلامية أنَّ المسلمين أقبلوا على شراء الكتب واقتنائها طالما أصبح ذلك ممكناً بعد انتشار المكتبات العامة والخاصة في كل البلاد الإسلامية. وقد انتشرت حوانيت الوراقين التي لم تقتصر مهمتها على بيع الكتب والورق، بل صارت مكتبات عامة يجتمع فيها العلماء والأدباء والشعراء وتتحول اجتماعاتهم إلى ندوات ومناظرات ومحاضرات يتلقى فيها الجميع العلم.

ومن الشواهد الدالَّة على رسوخ مبدأ التعليم المستمر أنَّ جميع مؤسسات المجتمع تقوم مقام المدرسة وتمارس أدواراً تعليمية، فنجد مثلاً أنَّ الرباطات لا يقتصر عملها على المهام العسكرية، بل تقدم العلم لمن يرابطون فيها، كذلك (البيمارستنات) "المستشفيات" فقد صارت مؤسسات لتعليم الطب وعلومه، ومنازل العلماء فتحت أبوابها للراغبين في تحصيل العلم والمعرفة.ولقد نمت دور الكتب في كل مكان فكان الهدف منها التعليم المستمر الذي يمكن الإنسان من الاستزادة من العلم . (شكري عباس حلمي ومحمد جمال نوير:١٩٨٢، ٥٨-٦٢)

وجعل الخلفاء والأمراء والوزراء قصورهم مراكز تشع منها الثقافة وملتقى العلماء والأدباء فيما يسمى "الصالونات"، فضلاً عن المساجد التي انتشر فيها تقديم العلم لطالبيه على مستويات متدرجة، حتى صار بعضها في مقام الجامعات في العصر الحالي كالحرمين الشريفين والمسجد الأموي والقيروان والأزهر الشريف.

وبصفة عامة نجد أنَّ البيئة الاجتماعية كلها في الدولة الإسلامية كانت حافزة ومشجعة ودافعة لطلب العلم باستمرارية بدافع إيماني بدءاً بالأسرة وأصحاب الجاه والأموال الذين ينفقون أموالهم في تهيئة أماكن تلقي العلم ورعاية طلابه، وولاة الأمر منذ عهد الخليفة عمر بن الخطاب الذي كان يرسل من يبحثون عن الجاهلين بالقرآن الكريم ويحدِّد لهم من يعلِّمهم، والأوقاف الإسلامية

تكفَّلت بإعانة طلاب العلم ومعاهد العلم ووفَّرت كل سبل التعليم المستمر. ومن الأقوال المأثورة والمأخوذة من بعض الكتابات القديمة في القرن الثاني الميلادي " إن العقلاء يبحثون عن المعرفة كأنهم لن يموتوا أبداً، أو لن يشيخوا، ويحصلون على الفضل كأنهم سوف يموتون غداً" وهو أيضا قول مأثور عن أحد الصحابة رضوان الله عليهم .

وهكذا يستمر التعليم المستمر في المسيرة عبر التاريخ مرتديا ثوب الزمان الذي يعاصره، حتى وصل إلى فجر الحضارة الإسلامية التي جعلته أساسا من الأسس التي لأغنى عنها بجوار أي مؤسسة تعليمية نظامية أخرى ، وقد أشارت السنة النبوية المطهرة إلى تلك الأسس:

الأساس الأول: الحث على التعلّم بذكر فضل العلم

رغّب الدين الإسلامي في طلب العلم، للأثر الإيجابي له على المتعلِّم والمجتمعِ الذي يعيش فيه.

والوحُي بقسميه القرآنُ والسنةُ غنيٌّ بالنصوص الداعية إلى طلب العلم، وحثِّ المكلَّف على الاستزادة منه، وترغيب الناس فيه.

وتؤكّد هذه النصوص على أهمية العلم في بناء الفرد الصالح، وصياغة المجتمع الفاضل، وعلى دوره في البناء الحضاري عامة.

فلم يكن من العبث أن تكون كلمة: ﴿ أقرأ ﴾ هي أول ما نزل على رسول الله صلى الله عليه وسلم من الوحي، فهي كلمة عامة ومطلقة، تَولّت أغلبُ نصوص القرآن الكريم والسنة الشريفة أمر تفسيرها وتبيينها والتقعيد لها.

ولهذا وجدنا كثيرًا من العلماء يولون اهتماماً كبيراً بالعلم وبيان فضله، وجرى على هذا النهج الإمام البخاري (ت٢٥٦هـ) -رحمه الله تعالى- في الجامع الصحيح حيث صدّر كتاب العلم بقوله: "باب فضل العلم"، ولم يورد فيه حديثاً يدل على فضل العلم، إشارة منه -رحمه اللّه- إلى أن فضل العلم معروف ومشهور يُستَغْنى عن ذكر حديث أو حديثين فيه.

وهذا يعكس بوضوح وعي البخاري بجوهر رسالة الإسلام الحضارية التي تقوم على العلم والقراءة. والعلم في الإسلام عبادةٌ ، وطريقٌ إلى المعرفة الدينية، ومن هنا تأتي أهميته، فهو وسيلة للتقرب إلى الله عز وجل وليس هدفاً قائماً بذاته، للحديث النبوي: «من سلك طريقا يلتمس به علما سهّل الله له به طريقا إلى الجنة».(أبو زكريا يحيى الدمشقي : ١٩٩٧، ٢٥٤)

لم تكتف السنة النبوية بالترغيب في طلب العلم والحث عليه ، وذكر فضله وأثره، والثواب الذي يحصل عليه المتعلّم ، بل جعلته واجباً عينياً لقول رسول اللّه ﷺ: «طلب العلم فريضة على كل مسلم» (أبو زكريا يحيى الدمشقي : ١٩٩٧، ١٤٤)

فجعل الرسول الكريم ﷺ طلب العلم فريضة عينية على كل من انتسب لهذا الدين الإسلامي، فسّوى بين وجوب طلب العلم ووجوب سائر العبادات من صلاة وزكاة وغيرها... ووجوب طلب العلم مقّدم على سائر الواجبات الأخرى لأن به تعرف أحكام الدين.

ومما فطنة إمام المحدثين البخاري تبويبه في كتاب العلم، في الباب العاشر إذ قال: "العلم قبل القول والعمل قال ابن المنير معلقاً على هذه: "أراد به أن العلم شرط في صحة القول والعمل فلا يعتبران إلا به، فهو متقدِّم عليهما لأنه مصحِّحٌ للنية المصححة للعمل، فنّبه البخاري على ذلك حتى لا يسبق إلى الذهن من قولهم: "إن العلم لا ينفع إلا بالعمل" تهوين أمر العلم والتساهل في طلبه" . (أبو زكريا يحيى الدمشقي : ١٩٩٧، ٢١٧)

وإذا كان القرآن الكريم حثّ الناس على طلب المزيد من العلم، فقد بّين ثمرات ذلك، أقلها أن من شأن العلم أن يرفع المملوك إلى درجة الملوك، لقول الله تعالى: ﴿ يرفع الله الذين امنوا منكم والذين أتوا العلم درجات والله بما تعملون خبير) .(المجادلة، ١١)

ورد في صحيح مسلم عن نافع بن عبدا لحارث الخزاعي –وكان عامل عمر على مكة– أنه لقيه بعُسفان فقال له: مَن استخلفتَ؟ فقال: استخلفتُ ابنَ أبزى مولًى لنا. فقال عمر: استخلفتَ مولى؟ قال: إنه قارئ لكتاب اللّه، عالم بالفرائض. فقال عمر: أما إن نبيكم صلى اللّه عليه وسلم قد قال: «إن اللّه يرفع بهذا الكتاب أقواماً ويضع به آخرين». (أبو زكريا يحيى الدمشقي:١٩٩٧، ٣٧٢)

ونذكر بعض الأحاديث النبوية الدالة على فضل العلم، منها:

أ) «من يرد اللّه به خيراً يفقهه في الدين»

ب) «لا حسد إلا في اثنتين: رجل آتاه اللّه مالاً فَسُلِّطَ على هلكته في الحق، ورجل آتاه اللّه الحكمة فهو يقضي بها ويعلمها»

ج) «مثل ما بعثني اللّه به من الهدى والعلم كمثل الغيث الكثير أصابَ أرضاً، فكان منها نقيَّة قبلت الماء فأنبتتِ الكلأ والعشب الكثير، وكانت منها أحادب أمسكت الماء فنفع اللّه بها الناس فشربوا وسقوا وزرعوا، وأصابت منها طائفة أخرى إنما هي قيعانٌ لا تمسك ماءًولا تنبت كلأً. فذلك مثل من فقهَ دينَ اللّه ونفعه ما بعثني اللّه به فَعَلِمَ وعلَّم، ومثل من لم يرفع بذلك رأساً ولم يقبل هُدى اللّه الذي أرْسلتُ به».

د) يا«أيها الناس تعلَّموا، إنما العلم بالتعلُّم والفقه بالتفقُّه»

هـ) «العلماء ورثة الأنبياء».

ومما لا شك فيه أن هذه النصوص تتضمن أصولاً تربوية وضوابط تعليمية متعلقة بالتعليم المستمر نستخلص منها ما يلي: (عبد الفتاح الزنبقى: ٢٠٠٣، ٤٨)

- حاجةالمتعلِّمين إلى العلم الشرعي.
- عين الفهم في العلم لا يكون إلا بمراعاة الضوابط التربوية والمحددات التعليمية.
- غرس روح التنافس الشريف بين المتعلمين.

- تشجيع المتعلمين على الازدياد من العلم.
- مراعاة قدرات الطلبة في الفهم.
- إدراك المعلم أو المربي أنه لا يصل إلى درجة أن يغبط إلا إذا كان لديه اقتناع تام بأنه في حاجة مستمرة إلى التعلم، وأن هناك من هو أعلم منه. ولا ينبغي أن يمنعه تبّوؤه لمنصب التعليم من الجلوس بين يدي الأساتذة للاستفادة والتكوين والتقويم، وهذا ما يعبر عنه في علوم التربية بـ "التكوين المستمر"
- حرص المعلم على تعليم الطلاب بكل وسيلة يستطيعها.
- ضرب المعلم الأمثلة أثناء الدرس لتعزيز العملية التعليمية.
- حرص المعلم على أن تكون الأمثلة قريبة من فهم الطالب، ومن بيئته ليمكنه استيعابها. (عبد الفتاح الزنبقى : ٢٠٠٣، ٤٨)

وهذا الأساس التربوي الأول الذي فصلنا القول فيه بإيجاز، لا يؤتي أكله إلا إذا أُعِدَّ له زمرة من الأساتذة الأكفاء تربوياً وخلقياً، إذ العلم ينبغي أخذه من مظانه الأصلية، ونقصد بذلك العلماء العاملين المخلصين.

قال ابن عباس :"كونوا ربّانيين حكماء فقهاء". ويقال: الرّباني الذي يربّي الناس بصغار العلم قبل كباره. وجعل الأساس الأول هو: "الحث على التعلّم بذكر فضل العلم" مسألة تعليمية أولية تتجلى في إبراز أهمية المادة المقبل عليها المتعلّم. لأن في هذا تعريفاً له بخصائص المادة، وتحفيزاً له على استكشاف كنهها لتحصل عنده الرغبة. فحبُّ المادة المُدَرَّسة يساعد على سرعة التلقي وسهولة التواصل وحسن التفاعل. وهذا الشوق الذي يتولد عند المتعلم، يدفعه أحياناً إلى الرغبة في إتقان هذا العلم والتفوق على الأقران. هذا ما جعلنا نسمي الأساس الثاني بإصلاح النية حتى تكون نية المتعلم خالصة لوجه الله تعالى.(رفعت عمر عزوز : ٢٠٠٨، ٣٤)

جملة القول أن التعليم المستمر يبدأ ببدء الحياة وينتهي بانتهائها أي من المهد إلى اللحد وهو يتناول كل جوانب الإنسان والأدوار المختلفة التي يقوم بها الأفراد في كل لحظة وفى كل مرحلة تعليمية وهو عملية مستمرة مدى الحياة ويغطى كل دورة في حياة الإنسان ويشمل جميع المراحل التعليمية ويتعامل مع التعليم بمعناه الكلى،ويضم التعليم بنوعيه النظامي وغير النظامي، ويعتقد الباحث بعدم وجود مفهوم محدد للتعليم المستمر إنما يستنبط تعريفه من جملة المعارف السابقة والتي بمجملها تشكل تعريفا للتعليم المستمر .

خلاصة وتحليل لمفهوم التعليم المستمر :

يرى(شكري عباس : ١٩٨٢، ١٤-٢٠) أن مفهوم التعليم المستمر مازال ينمو وينضج ويتطور من حين إلى آخر،وقلما يوجد اتفاق محدد حول مفهوم التعليم المستمر ولكن يمكن وضع عدة خصائص تكون فى مجملها مفهوما للتعليم المستمر فمنها على سبيل المثال لا الحصر .

- هناك مصطلحات ثلاثة يرتكز عليها مفهوم التعليم المستمر هي الحياة ومدى الحياة والتعليم معالم المصطلحات الثلاثة تفصح عن معنى التعليم المستمر .
- التعليم المستمر عملية مستمرة مدى الحياة، وهو يشتمل على كل أنواع التعليم التى تغطى حياة الإنسان
- هذا المعنى متفق عليه من قبل التربيتين الإسلامية والبرجماتية وفى هذا دلالة على أن التربية الغربية استفادت من التربية الإسلامية وتأثرت بها .
- التعليم المستمر لم يعد مرتبطا بما يدرس داخل المدارس أو المؤسسات بل يتضمن كل المواقف التعليمية المرغوب فيها سواء داخل المؤسسات أم خارجها .
- التعليم المستمر لايستهدف تعليم القلة وإنما يستهدف تعليم كل المجتمع، ومن أهدافه الفرد وعلاقته بالمجتمع لارتباطه بحاجات المجتمع المتغيرة .والتي من أهمها نوعية الحياة الإنسانية .

- من خلال العرض السابق يتجلى مفهوم التعليم المستمر الذي ينمو ويتجدد ليقدم للبشرية حلا تعليميا للكثير من المشاكل التى من أهمها التنمية المستدامة التى تعد الإنسان لعالم متغير .

مظاهر التعليم المستمر في السنة النبوية:

حرص الإسلام على توجيه أتباعه إلى أهمية استمرارهم في طلب العلم من المهد إلى اللحد، وبشرهم بثواب الحرص على التعلّم ، وبّين لهم فضل العلم في الحياة الدنيا وفي الآخرة ، قال اللّه عزّ وجل: ﴿ قل هل يستوي الذين يعلمون والذين لايعلمون﴾. ففهم أصحاب رسول اللّه ﷺ ذلك واستوعبوه وامتثلوه فصاروا حريصين ألاّ يفوتهم شيء من العلم مع رسول اللّه ﷺ. عن عبد الله بن عباس أن عمر بن الخطاب قال: «كنت أنا وجار لي من الأنصار في بني أمية بن زيد وهي من عوالي المدينة، وكنا نتناوب النزول على رسول الله صلى الله عليه وسلم، ينزل يوماً وأنزل يوماً، فإذا نزلتُ جئتُ ـه بخبر ذلك اليوم من الوحي وغيره، وإذا نزل فعل مثل ذلك».(أبو بكر يحيى الدمشقي : ١٩٩٧، ١١١)، قال ابن حجر: "وفيه أن الطالب لا يغفل عن النظر في أمر معاشه ليستعين على طلب العلم وغيره مع أخذه الحزم في السؤال عما يفوته يوم غيبته". فعلى الطالب أن يبادر في طلب العلم والحرص عليه لأن يوم الطالب في التعليم والتعلّم أفضل من غده، وأفضل منه أُسه، والإنسان كلما كبر كثرت عوائقه، ومن هذه المعيقات الوثوق بالذكاء فكثير من فاته العلم بركونه إلى ذكائه وتسويفه أيام الاشتغال، ومنها أيضاً التنقل من عِلْمٍ قبل إتقانه إلى علم آخر أو ومن شيخ إلى آخر. ولهذا حث السلف على طلب العلم والدأب في جمعه والعناية به، واهتموا بذلك في الحضر، وضربوا له أكباد الإبل في السفر والرحلة ، وكان يحدوهم في طلبه والاهتمام بذلك، حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إنما العلم بالتعلم والفقه بالتفقه، ومن يرد الله به خيراً يفقهه في الدين» فعن أبي الأحوص قال: قال عبد

الله بن مسعود رضي الله عنه: "إن الرجل لا يولد عالما، وإنما العلم بالتعلم. (أبو بكر يحيى الدمشقي : ١٩٩٧، ١٩٣)

وعن علي رضي الله عنه قال: "العلم ضالة المؤمن فخذوه ولو من أيدي المشركين، ولا يأنف أحدكم أن يأخذ الحكمة ممَّن سمعها منه". "ولا يقنع من العلم بالقليل بل يطلب العلم حتى الممات" كما قال ابن المبارك . هذا يدلل دلالة قاطعة على أهمية التعليم المستمر في مصدري التشريع الاسلامى .

ولأن طلب العلم فريضة على كل مسلم ومسلمة والفريضة لا تنقطع إلا بالموت أو بالعذر الشرعي. وهذا الحرص الجاد على طلب العلم هو سمة الطائفة التي جاء التنويه بها في قوله عز وجل:، فإذا تلاشى في الأمة الحرص على طلب العلم، لن توجد هذه الطائفة.

سمات التربية الإسلامية :

لمعرفة سر اهتمام التربية الإسلامية بالتعليم المستمر يجب علينا أن ننطلق من الصفات الخاصة التي تميزت بها هذه التربية وهي : (على خليل أبو العينين : ١٩٨٧، ١٣٥)

١. التربية الإسلامية تربية مطلقة : من حيث الزمانية، فهي ليست محصورة بمرحلة عمرية معينة ولا حقبة زمنية محددة، بل ممتدة من المهد إلى اللحد، وهذا الأمر هو ما تدعو إليه التربية المعاصرة وتضعه ضمن أولوياتها، والمكان مطلق " اطلبوا العلم ولو في الصين" " الحكمة ضالة المؤمن أنى وجدها أخذها "
٢. تربية تتلاءم مع تغيرات نمو الأفراد وأعمارهم : ففي مرحلة الطفولة تختلف الأساليب في التربية عن الأساليب المستخدمة مع الأعمار الأخرى كما تختلف مع نفس الأعمار في الأجيال المختلفة وفقا للظروف المحيطة، وهذا يدعو إلى أهمية التعليم المستمر ليلائم جميع الأعمار .

٣. تربية تستهدف تكوين المجتمع : فهي تحث أفراد المجتمع على التعلم وبث ذلك في المجتمع بشكل عام، وفي قوله صلى الله عليه وسلم " طلب العلم فريضة على كل مسلم ومسلمة " إشارة إلى ذلك،ولا يفوتنا التأكيد على أن التعلم يشمل المعلم والمتعلم على حد سواء كي تتحقق القدرة على مواكبة التغيير، وبناء المجتمع المتقدم .

٤. تربية شاملة للإنسان : لا تفرق بين من هو صغير أو كبير، ذكر أو أنثى، سليم أو معاق، فهي أمر مطلق، كانت لدى الكتاتيب وفي الجوامع والمساجد وعند العلماء والوراقين والأسواق وغير ذلك، وكذا لم تغفل التربية الإسلامية نصيب المرأة من العلم والتعلم يقول الله تعالى " تعلمونهن مما علمكم الله "ويقول الرسول صلى الله عله وسلم " ارجعوا إلى أهليكم فعلموهم".

٥. من كل ما سبق نخلص إلى أن التعليم المستمر راسخ في حضارتنا الإسلامية حيث نادت به لكل أفراد المجتمع دون تفريق، وما التسميات الحديثة من تربية مستمرة أو دائمة أو متواصلة إلا فكر قديم بثوب معاصر وجديد.

أهداف التعليم المستمر في التربية الإسلامية:

إن أهداف التعليم المستمر لا تعتبر أهدافاً نهائية بل هي أهدافٌ تتجدد وتتغير وفقاً لتجدد وتغير تطلعات الإنسان وقدراته وظروفه المحيطة، و من الأهداف ما هو قريب ومنها ما هو بعيد وهما على صلة فتحقيق البعيد يتطلب تحقق القريب . لكن يمكننا أن نقف عند الخطوط العريضة من هذه الأهداف والتي ترتبط ارتباطاً مباشراً بمتغيرات العصر،ونحن نقف أمام متطلبات جمة يجاهد فيها الفرد ليلحق بركب التقدم ويبقى ضمن تيار التطور المنطلق بسرعة الريح ويعتقد الباحث أن التربية الإسلامية غطت هذا الجزء وعززته ونادت به منذ فجر الإسلام.

ولعل الهدف الأسمى من التعليم المستمر هو خدمة المجتمع، والأخذ به إلى مصَاف المجتمعات المتقدمة المواكبة لمراحل التنمية في مختلف المجالات .ومن أهداف هذا التعليم أيضاً: (زهراء أحمد محمد : ٢٠٠٤، ٣٦)

- إعادة فحص الأفكار وأنماط السلوك السائدة في المجتمع، بناء على المشكلات الجديدة وتحديد ما تتطلبه عناصر التغيير التي طرأت والسعي إلى تحقيقها .
- تضييق الهوة الثقافية الناتجة عن اختلاف السرعة بين النمو المادي والنمو الحضاري في جوانب الحياة الاجتماعية .
- التوفيق بين القيم والاتجاهات القديمة و متطلبات العصر الجديد .
- مواجهة ما ينتج من مشكلات ناتجة عن التغيير الاجتماعي السريع .
- التنمية الاقتصادية وتعزيز موارد دخل المجتمع .
- نشر الوعي حول القضايا الكبرى سواء المحلية أو الخارجية .

وكل هذه الأهداف في مجملها تضع نصب عينيها خدمة المجتمع من خلال تطوير أفراده وهي الفلسفة التي يقوم عليها التعليم المستمر.وهذه البيئة الإسلامية الحافزة ساعدت على ازدهار التعليم المستمر الذي استند في ازدهاره على مرجعية وأسس نظرية متكاملة من أفكار وتصورات مستنبطة من توجيهات القرآن الكريم والسُّنَّة المطهرة وآراء العلماء والفقهاء، جاءت جميعها متسقة غير متناقضة لأنَّ مصدرها واحد هو القرآن الكريم والسُّنَّة المطهرة .

مؤسسات التعليم المستمر في الإسلام:

شهدت المؤسسات التعليمية في صدر الدولة الإسلامية أشكالا عدة منها: ساعدت على بروز التعليم المستمر وتحقيقه بصورة عالية متكاملة :كما أوضحها كل من (شكرى عباس حلمى ومحمد جمال نوير : ١٩٨٢، ٦٢)، و(نور الدين محمد عبد الجواد : ٢٠٠٧، ٤٤-٤٧)

١. **الكتاب:** وقد وجدت الكتاتيب قبل ظهور الإسلام وزادت بعد ظهوره حيث شهد المسلمون نوعين من الكتاتيب وهي الكتاتيب الخاصة بتعليم القراءة والكتابة والحساب وكانت في منازل المعلمين وكان معظم المعلمين من الذميين، والكتاتيب التي كانت تعلم القرآن ومبادئ الدين الإسلامي وكان غالبا ما يتم في المسجد.هذا النوع من التعليم يعد من أنواع التعليم المستمر الذي شاع انتشاره في شتى بقاع الأرض، كان الأكثر استعمالا وتداولا من بين مؤسسات التعليم التي تخدم كثير من الناس فى مستويات عمرية مهمة

٢. **قصور الخلفاء والأمراء:** نشأت في العهد الأموي والعباسي كنوع من التعليم الابتدائي الخاص يهتم بتأهيل أبنائهم لتحمل الأعباء المستقبلية، وقد كان الأب يضع المنهاج لولده أو يشارك في وضعه وكان يسمى المعلم في القصور مؤدبا وهو أرقى من معلم الكتاتيب وتستمر مرحلة التعليم حتى الصبا.

٣. **مجلس المناظرة:** وكانت من أهم المؤسسات التربوية في الإسلام حيث كانت تجمع العلماء والأدباء في مجالس الخلفاء أو في المساجد وكان يطلق عليها صالونات الأدباء وقد ازدهرت هذه الظاهرة في العصر العباسي، ومن أشهر المناظرات اللغوية ما جرى بين سيبويه والكسائي في عصر الرشيد ومناظرات الشافعية والمالكية في المساجد حول أمور الفقه الإسلامي.

٤. **حوانيت الوراقين:** أنشئت هذه الحوانيت في البداية لأغراض تجارية انحصرت في بيع الورق، ثم أصبحت ساحة للثقافة والحوار العلمي، وأصبح معظم الوراقين من الأدباء أصحاب الثقافة الرفيعة ومن أشهر الوراقين ابن النديم وياقوت الحموي. وتعدت المهنة بيع الورق إلى نسخ الكتب وبيعها وتداولها.وهذه وسيله أخرى تساعد على نشر التعليم المستمر بين ربوع الناس

.

٥. **المساجد:** يعد المسجد هو المدرسة الدينية الأولى ثم تحولت المساجد إلى منارات للعلم والثقافات الأخرى ويؤثر عن عمر بن عبد العزيز أنه أمر عماله بنشر العلم والفقه في المساجد، ومن أشهر المساجد التي كانت منارات للعلم جامع عمرو بن العاص والأموي في دمشق والمنصور ببغداد.

٦. **المدارس:** تعد المدارس النظامية التي أنشأها الوزير السلجوقي نظام الملك هي أولى المدارس التي أنشئت في الحضارة الإسلامية، ومن أشهر المدارس المدرسة المستنصرية التي بناها الخليفة العباسي المستنصر بالله، والمدرسة الناصرية بالقاهرة. وكانت المدارس تحتوي على سكن للطلبة وكان التعليم فيها مجانيا بل وكان الطلبة يتقاضون فيها راتبا شهريا ووجبات يومية وألحق بالمدارس حمامات ومرافق للرعاية الصحية ومكتبات تحتوي على أمهات الكتب، وكان التعليم الديني هو الغالب على هذه المدارس.

٧. **المكتبات:**اهتم المسلمون بالكتب و أنشأوا مكتبات في كل مسجد، كما كانت مكتبة الخليفة خالد بن يزيد بن معاوية من أكبر وأقدم المكتبات العربية، وقد عرفت الحضارة الإسلامية ثلاثة أنواع من المكتبات وهي المكتبات العامة مثل دار الحكمة ببغداد والقاهرة، والمكتبات التي أنشأها الخلفاء في قصورهم وكانت تخدم العلماء ووجهاء الناس وخاصة الخليفة، والمكتبات الخاصة التي أنشأها العلماء والأدباء في منازلهم مثل مكتبة حنين بن إسحق.

٨. **الخوانق والزوايا والروابط:** أنشأها المتصوفون للعبادة ومجاهدة النفس وكان يدرس بها علوم الفقه والتصوف واللغة والحديث والقرآن وكان لكل شيخ جماعة من المريدين يتبعونه ويتعلمون منه، أما الروابط فهي جمع رباط وكانت في الأصل ثكنة عسكرية يرابط فيها الجنود على الثغور وكان يتم فيها تعليم القرآن واللغة كما بنيت روابط للنساء لتعليمهن.

٩. **البيمارستانات:** وهي كلمة فارسية معناها المستشفى وقد أنشأ الخلفاء العباسيون هذه الأماكن لتكون أشبه بكليات لتعليم الطب والتمريض والتدريب

العملي ويتوافر بها مكتبات ضخمة وآلات التطبيب والجراحة والصيدليات، وكان يمنع أحد من مزاولة مهنة الطب دون أن ينال إجازة الطبيب من هذه البيمارستانات.

سمات التعليم المستمر:

إن التعليم المستمر يستند على عدد من السمات التي جعلت له أهمية قصوى تميزه وتعزز من مكانته في سبيل التعاطي مع ما تعيشه المجتمعات، وهذه السمات تتمحور في خمسة أركان هي: اتفق عليها كل من : Dave 1975 K1975 وليغراد lengggrad1970 وكروبلي Copley and Dave 1977 (محيى الدين توق : ١٩٨٥، ٨-١٠)

١. الكلية أو الشمولية ": ذلك التعليم الذي يحدث مدى الحياة طول فترة حياة الإنسان بكل أنواعه رسمي غير رسمي وهذا يعني أن التعلم يحدث طوال جميع مراحل الإنسان من المهد إلى اللحد بشكل طبيعي وبنفس الشاكلة التي تستمر فيها عملية النمو بشكل طبيعي، وهذا المبدأ. الشمولي المتكامل لابد أن يتم خلال حياة الفرد كلها .

٢. التكامل " : ويقصد به التكامل بين جميع مصادر المعرفة والتربية من البيت والمجتمع والمدرسة ومراكز التدريب وأماكن العمل وغيرها مما يشكل عملية التعلم والتربية.ويتصل هذا المفهوم بفكرة ربط التربية بالحياة ينبغي ألا يقتصر على المؤسسات النظامية فقط .

٣. المرونة" يتضمن التعليم المستمر توجها ديناميكيا للتربية يسمح بنقل المواد التعليمية المناسبة للحاجات المتغيرة باستمرار، وتتجلى المرونة في إفساح المجال أمام الأنماط البديلة للتعليم متماشية مع متغيرات العصر ومتطلباته في ما يعلم، وكيف يعلم؟ ولم يعلم؟، تؤمن بضرورة التغيير لوجوده أصلا.وينبغي ألا يفترض التعليم المستمر أن الفرد ملزم أن يسير في اتجاه

واحد لا يتغير طيلة حياته إنما لابد أن تفترض أن هناك إمكانية للتغيير من خلال عمليات التعلم الجديدة بعد انقضاء فترة التمرس

٤. الديمقراطية" تؤكد على حق جميع الناس في التعلم بغض النظر عن الفروق الاقتصادية الاجتماعية الثقافية والعقلية، فهي تربية للجميع.

٥. تحقيق الذات": أي أن هذه التربية أو التعليم تسعى لأن يكون الفرد محققا لذاته ومطورا لها ليعيش عيشة متناسقة مع ما يفرضه المجتمع والعصر، تكيفه مع العوامل المحيطة وتفتح المجال له للإبداع، وكل ذلك ينعكس في النهاية على مجتمع متقدم متطور تبعا لتقدم وتطور أفراده.

ويرى عبد الدايم أن هذه السمات التي تدعو إلى التكامل والتعاون بين أنظمة التعليم النظامي وغير النظامي والعرضي، امتدّ واتسع في نطاقه ومداه، واتسع أيضا في محتواه ومضمونه وأهدافه، فغدا يشمل ميادين تنتسب إلى ميادين التنمية الشاملة للمجتمع، وإلى القيم الإنسانية الأساسيةكالتّربية السياسية والكفاح من أجل تقدم المجتمع، وكتعليم التقنيات الزراعية والصناعية والصحية والمهنية بوجّه عام، وكالعناية بمبادئ النسل، وإيقاظ الوعي السياسي والدّربة على ما يتّصل بالتّربية المدنية، وتكوين روح المواطنة وتوفير مشاركة المجتمع في شتى شؤونه، وغرس روح الديمقراطية وحقوق الإنسان، وإشاعة روح التفاهم والتعاون العالمي، حتى يكاد يحول المجتمع كله إلى مدارس بلا جدران، إلى مجتمع متعلم ومعلم في آن واحد، وغدا هدفه الأساسي السعي إلى إعداد الأفراد للعمل من أجل بيئتهم ومجتمعهم، ومن أجل الإنسانية جمعاء، والعمل على صياغة جديدة وفق هذا المطلب .(عبد الله عبد الدائم : ١٩٩٣، ٨-٩)

أهمية التعليم المستمركمدخل لتحقيق التنمية المستدامة:

التعليم المستمر بدأ يأخذ أهّمية متزايدة خلال العقود القليلة الماضية، من المتوقع أن تزداد أهميته في ظلّ التطّورات التكنولوجية المتسارعة، والتي تؤدي إلى تغييرات مستمّرة في بيئة العمل ومتطلّباته وطرق أدائه. ويعمل هذا التعليم

المستمر على توفير فرص التعليم لهؤلاء الذين لم يحصلوا عليها من قبل، أو الذين التحقوا بوظائف لا تتّفق مع رغباتهم وتخصصاتهم، أو من تدهورت مهاراتهم بسبب التغّوات التكنولوجية ويكونون بحاجة إلى إعادة التعليم أو التدريب.

ففي السنوات القليلة الماضية، برزت أصوات مهمة تنادي بحتمية التعليم المستمر وضرورة تبّنيه كفلسفة تربوية لاعتبارات موضوعية ومقّنة فقد أكّد تقرير جاك ديلور **(Delors&Colleagues:1995,1-16)**. ، أن مفهوم التعليم المستمر مدى الحياة، هو أحد مفاتيح القرن الحادي والعشرين ويستجيب للتحّدي الذي يطرحه عالم سريع التغّير، وأنه ينبغي أن نجعل التعليم مدى الحياة مكانة القلب في المجتمع، ويؤكد هذا التوّجه نيريري، حيث يقول: " إن أنسب صيغة تربوية للتعامل مع الأوضاع الاقتصادية الحالية والمستقبلية تكمن في تبني سياسة التعليم المستمر، إن التعليم المستمر والتدريب المقترن بالحياة وبالعمل، هو الحل. فكما أن العمل هو جزء من التعليم، فكذلك يجب أن يصبح التعليم جزءا لا يتجزّأ من العمل، ويجب على الناس التعلم في أثناء العمل وفي أماكن عملهم، وينبغي أن تتحول أماكن العمل إلى أماكن للتعلم. وفي هذا الصدد، يذكر رئيس المؤتمر العالمي الخامس لتعليم الكبار المنعقد في هامبورج عام ١٩٩٧، أن التعليم المستمر أعظم استثمار لولوج المستقبل ". (محمد أحمد الرشيد : ١٩٩٣، ٨-٩)

إن الأخذ بفلسفة ورؤى التّربية المستمّرة وما تتضمنه من تعليم مستمر لا يتحقّق من خلال رفع الشعارات وترديدها وتزويق السياسات القائمة بها، بقدر ما يتحقّق من خلال التغيير الجذري للتصّورات التي تحكم المنظور التربوي من داخلها. وما لم تغّير هذه القوالب الفكرية الكلاسيكية للتخطيط الوطني والتربوي فلا يمكن لفلسفة التّربية المستمّرة أن تنمّو نموّا طبيعيا.

إذن نؤكد مرة أخرى، أن التعليم المستمر كمطلب تنمّوي منشود، لا يمكن أن يتحقّق في ظلّ تربية كلاسيكية تنظر إلى التّربية على أنها حكر على المراحل الأولى من التنشئة الإنسانية، وتنتهي بمجرد انتهاء المتعلم من دراسته التكوينية الأولى، أيا كانت ابتدائية أو ثانوية أو جامعية. فحجم التغيير المعرفي والتعقد التكنولوجي، جعلت المعارف تتزايد بمتواليات هندسية لا تمكّن التنشئة التربوية والتعليمية الأولى للفرد، مهما كانت جودتها، أن تحصّن الفرد أو تكفيه للعيش بها مدى الحياة، إذ لابد له أن يواصل تعليمه بشكل مستمر ومتواصل مدى الحياة إن أراد أن يطّور ذاته ويواكب التغييرات.

وفي ضوء توجّهات التّربية المستمّرة بدأت بعض الدّول، ومن بينها أمريكا، سنّ تشريعات إلزامية للمشاركة في برامج التعليم المستمر لبعض الشرائح المهنية التي تتعرض مجالات عملها لتغييرات نوعية متسارعة في جوانبها المعرفية مثل الطب، والهندسة، والقانون، والصيدلة، والتعليم، وغير ذلك من المهن. ووضعت لهذا الغرض إجراءات وضوابط لتقنين إلزاميتها، وللتحقيق في آلية الأخذ بها. صحيح أن هذه المسألة واجهت اعتراضات من قبل بعض الجهات خاصة من الشرائح المهنية المستهدفة، ولكن هذه المعارضة فترت، وأصبح التشريع تراثا معمولا وملتزما به. (عبد الله عبد الدائم: ١٩٩٣، ٨-٩)

ليس هذا هو التغيير الوحيد الذي حصل في المجتمع الأمريكي على سبيل المثال في تبنّيه لصيغة التّربية المستمّرة كنمط حياة وتربية، بل اشتمل التغيير مفاهيم وممارسات عدة أدت إلى فتح القنوات بين أنظمة التعليم المختلفة، وألغت الحواجز التقليدية المعيقة للاستفادة من فرص التعليم والتعلم، ووظّفت المؤسسات المجتمعية للربط بين التمدرس والحياة، وسمحت للمواطنين بالإنفاق على تعليمهم وتدريبيهم المستمر، واقتناء التكنولوجيا الحديثة خصما على ضرائب الدخل المستحقة عليهم سنويا، وغير ذلك الكثير من الممارسات الموجّهة إلى تحقيق

ديمومة التعليم واستمراريته بما ينعكس إيجابا على حياة المواطن اقتصاديا واجتماعيا وثقافيا.

إن الإيجابيات الكبرى التي انطوت عليها فلسفة التّربية المستمرّة، ساهم في بلورتها عدد من المتغيّرات العالمية، من بينها الدعوات المتزايدة إلى تحقيق مبدأ ديمقراطية التعليم، والاهتمام بمبادئ التعلم الذاتي، ونتائج الأبحاث المعمّقة التي أثبتت قدرة الكبار على التعلم، والحقائق المرتبطة بالعلاقات الإيجابية المترابطة بين مستوى التعليم والدخل والإنتاج. هذه الجوانب جعلت كثيرا من العلماء وصناع القرار ورجالات التّربية يلتفتون لهذه المسألة ويولونها اهتماما بالغا(**Paul Belanger 353, 1994 :)**وفي ضوء كل هذا، يمكن القول إن فلسفة التّربية المستمرّة تستند إلى عدد من الخصائص والمفاهيم التي تشكّل طبيعتها، وتجعل منها خيارا ذا جدوى كبرى، لتحسين نوعية الحياة في المجتمعات، وتغري بالتالي كثيرا من صناع القرار لتبّنيها.

وتتلخّص هذه المفاهيم والخصائصوالأسس التي تستند عليها فلسفة التّربية المستمرّة في أن التعليم المستمر وحده كفيلا بتحقيق التنمية المستدامة بكافة أشكالها بخلق مجتمعات تتحرك وفق هذه المعطيات والتصوّرات، وبدون الأخذ بها ستظلّ التّربية راكدة، كلاسيكية، قاصرة عن الأخذ والعطاء مع متطلّبات التغيير والتحديث وروح العصر وجوهره. ومهما يكن من أمر، فإن مفهوم التّربية المستمرّة الذي نتحدّث عنه كرؤية فلسفية تربوية، يرتجى منه إحداث قفزات نوعية لتطوير التّربية وتجويدها، لم يحظ بكثير من العناية في أدبيات التّربية العربيّة، إذ أن نصيبها لا يتجاوز الإشارات العابرة هنا وهناك دون التوقف المتعمق الجاد لبحث هذه الرؤية في جوانبها المتعددة. وعلى ذلك اتصف المفهوم بالضبابية وعدم الوضوح، مما أدى إلى الخلط الكبير بين هذا المفهوم ذي الرؤية الموسعة، والمفاهيم الأخرى التي يشكّل البعض فيها جزءا محدودا من منظومته مثل مفاهيم

تعليم الكبار، ومحو الأمّية، والتعليم الموازي، والتعليم عن بعد، والتعليم المتجدد وغيرها كثير. ولهذا السبب ظلّت التّربية المستمّرة في كثير من المجتمعات النامية مجرد لفظة تذكر فتمجّد، وأحيانا برامج تنفّذ، دون أن ينظر إليها على المستوى الفكري والتشريعي على أنها رؤية تضبط العمل والتحرك التربوي ويخطط لها تخطيطا عقلانيا كجزء لا يتجزّأ من المنظومة التنمّوية. (محمود قمبر : ١٩٩٦، ١٤٥)

وحقيقة الأمر أن التعليم المستمر في صبغته العامة، مفهوم يتضمن الإعداد الشامل للإنسان، طبقا لمسلك تربوي يستمر طوال حياته، ويستدعي نظاما كاملا تنسّق به كل أنواع التّربية، ويقدم الوسائل المناسبة التي تستجيب لتطلعات كل فرد : التربوية والثقافية والمهنية بالشكل الذي يتوافق مع قدراته. ومن ثّم، فالتعليم المستمر، طبقا لهذا المفهوم، أكبر من تعليم الكبار. إنه يبدأ مع الطفل قبل أن يلتحق بالمدرسة الابتدائية حيث تقّدم له صيغا تربوية لا نظامية تقوم بها الأسرة والبيئة المحيطة بها بكل وسائلها التربوية، ودار الحضانة، وروضة الأطفال. وتستمر معه تلميذا في كل مراحل التعليم العام، تربط الكتاب بالحياة، والمدرسة بالمجتمع، والتعليم بالتعلم، كما تصاحبه بعد التخرج من جامعته، وتهّيئ له استمرارية التعليم والنمّو فيه بما يتناسب مع حاجاته وقدراته. (محمود قمبر : ١٩٩٦، ١٤٧)

مبررات الأخذ بالتعليم المستمر

إنّ التوّجه السائد اليوم لدى المهتمين بالشأن التربوي، يدعو بصراحة إلى ضرورة الأخذ بفلسفة حديثة للتربية تبّنى في ضوء روح وجوهر فلسفة التّربية المستمّرة قولا وعملا، اعتبارا لمبّررات منطقية وواقعية تدعو إلى تحديث التّربية وتطويرها وتجديدها في هذا الاتجاه. ومن أهم المبررات التي تدعو إلى الأخذ بفلسفة التعليم المستمر.

١. التغيير السريع والمستمر في مختلف مظاهر الحياة

يعدّ التغيير السريع في مجالات التكنولوجيا والاقتصاد والعلوم، من أهم سمات العقود الأخيرة من القرن العشرين فوتيرة التسارع هذه لم تكن معروفة في الحضارات أو القرون السابقة فالتغّير في الحضارات القديمة كان ألفيّا، ثم أصبح قرنّيا، وهو في واقع حياتنا الحالية يوميا وبعبارات " راسل " : " لقد فاض كل شيء، إن الاختراعات التي أمكن إنجازها بجهود عدة أجيال أنجز وينجز أكثر منها على المستوى الكمي في سنوات تعدّ على أصابع اليد الواحدة. إن المعرفة الإنسانية تتضاعف مرة كل ثمانية أعوام، وتتضاعف في بعض مجالات المعرفة دون ذلك بكثير، الأمر الذي يفرض على الإنسان الحالي أن يواجه كل نحو عشر سنوات عالما جديدا يختلف عن سابقه فيزيقيا، كما يختلف في مفاهيمه وقيمه وأخلاقه عن عالم الأمس، وبدرجة تصبح معها التفسيرات السابقة غير كافية لمواجهة الحاجات الجديدة.(محمد بن أحمد الرشيد : ١٩٩٩، ١١-١٢)

٢. القصور والعجز في الأنظمة التربوية التقليدية :

إن الأنظمة التربوية الحالية تعاني من مظاهر نقص شديد تقلل من قدرتها على إعداد الأفراد لحياة منتجة فعالة في وجه تحدّيات العصر. ومن بين هذه النواقص، قصر التعليم على المراحل الباكرة من حياة الإنسان، وإغفال مراحل الحياة اللاحقة، والتركيز الكبير على معرفة الحقائق على حساب الاتجاهات والمثل والقيم، وطغيان التمدرس على حساب التعليم من الحياة وخارج جدران المدرسة، والانفصال ما بين الدّربية والحياة.(يعقوب حسين نشوان : ١٩٩١، ١٧٢)

وتبّين المؤشرات أن هناك تدّنيا مزعجا بالنسبة إلى نوعية التعليم وجودته في الوطن العربّي. ونتيجة لهذا التدّني أصبح التعليم في الوطن العربّي عائقا للتنمية بدلا من أن يكون عنصرا فعالا في إحداثها. فالتعليم العربّي حتى بالمعايير

التقليدية لا يزال متخلّفا بالمقارنة بما في العالم، وفي بعض الأحوال بما في البلدان النامية.(نبيل عامر صبيح : ١٩٩٨، ٦٢-٦٦)

من مظاهر القصور أيضا – قصر التعليم على المراحل المبكرة من حياة الإنسان وإغفال مراحل الحياة اللاحقة، والتركيز على معرفة الحقائق على حساب الاتجاهات والمثل والقيم، وطغيان التعليم المدرسي على حساب التعلم الذاتي من الحياة خارج جدران المدرسة. (محيى الدين توق : ٢٠٠٤، ١٣)

وقد برز كثير من النقد في أدبيات التنمية للواقع التربوي وانعكاساته السالبة على مسيرة التنمية··· فكثر الحديث عن عدم كفاية النظام التعليمي، وغلبة التعليم الأكاديمي على حساب التعليم الفني، وعدم الاستجابة الصحيحة لاحتياجات القطاعات الاقتصادية من القوى العاملة، وعدم توازن الكفايات والمهارات التي أخرجتها تلك الأنظمة، بحيث أدّت إلى بطالة الخريجين في اختصاصات معّينة وأبقت على النقص في اختصاصات أخرى . (محيى الدين توق : ٢٠٠٤ ، ١٥)

ويترتب على تردي جودة التعليم فى أمور متعددة من بينها ضعف العائد الاقتصادي والاجتماعي للأنظمة التربوية، وضعف إنتاجية الخريجين، وتدهور أجورهم، وتفشي البطالة بينهم. إن السبب الذي أدى إلى تدني نوعية التعليم وما ترتب عليه من نتائج اجتماعية واقتصادية يعزى نسبيا لأهداف التّربية وفلسفتها في الوطن العربّي التي لا تزال تقليدية، لا تنمي في الفرد مهارات الإبداع والابتكار ومهارات التعلم الذاتي مدى الحياة، وإنما تركّز على الحفظ والاستظهار والتلقين، ولأن مسألة تدريب المعلمين والقائمين على التعليم بصورة منتظمة ومستمّرة تكاد تكون غائبة في ظلّ الفلسفة التقليدية، ولأنّ التقويم المستمر والتحديث المستمر للأنظمة والبرامج وربطها باحتياجات الحياة وسوق العمل والإنتاج لا تزال ضعيفة وقاصرة. والأخذ إذن بموجّهات التّربية المستمّرة في يقيننا هو إجراء استراتيجي واعد لمواجهة هذا التحدّي الكبير الذي يواجه أنظمة التّربية العربّية في الوطن العربّي.

هذا الحل يقتضي توفير فرص تعويضية للمتسرّبين من هذه المؤسسات والذين لم يعّوا إعدادا كافيا أو جيدا، وفرص للخريجين لاستكمال النقص التأهيلي الأولي، لتعزيز ما تعلّموه، وفرص للاطلاع على ما استجدّ من معلومات بعد تخرّجهم، وهذا ليس للمعلمين والتربويين فقط، وإنما لكافة الشرائح المهنية المتخصصة التي تضخّها مؤسسات التعليم العالي للمجتمع.

هذامن جانب الجودة النوعية للتربية، ومن جانب آخر، تتّصف التّربية المدرسية العربّية بأنها عملية مغلقة لا تسمح بالدخول والخروج والتناوب بين الدراسة والعمل. فانقطاع الدارس عن المدرسة عدة أعوام، يعني أن مصيره الدراسي قد انتهى وأن طموحاته وآماله قد تلاشت. هذه نظرة قاصرة في التّربية والتعليم، ولكنها نظرة معيشة ومعمول بها وتحتاج إلى معالجة جادة. والمؤسسة المدرسية العربّية منغلقة على نفسها، وغير منفتحة على مجتمعها، فالمجتمع لا يعرف من المدرسة إلا مبناها الخارجي أما قاعاتها ومكتباتها ومرافقها فهي حكر على الدارسين وفي أوقات الدراسة فقط. وهذه النظرة لا تحقّق الاستفادة الاقتصادية والاجتماعية القصوى من هذه المباني الباهظة الثمن. إن المدارس الرسمية مهّيأة، متى أحسن استخدامها وتوظيفها، لتلعب دورا رئيسيا في دفع مسألة التّربية والتعليم المستمر في الوطن العربّي. والتجربة العالمية ثرّية بمعطياتها وموجّهاتها التي يمكن الاسترشاد بها لتحقيق هذا الغرض التنمّوي المهّم.

٣. تضخّم المعرفة وتنّوع الخبرات وسرعة امتلاكها:

لم يعدّ هدف التّربية هو نقل المادة التعليمية، بل إكساب المتعلم القدرة على التعليم ذاتيا مدى الحياة. وبعبارة أخرى، إن هدف التّربية الأساسي هو زيادة قدرة الفرد على التكّيف مع ما يستجدّ من المتغّيرات العلمية والتكنولوجية، وبالتالي مع المتغّيرات الاجتماعية الناجمة عنها. وتحتاج عملية التكّيف تلك، بجانب

الاعتبارات الثقافية والنفسية، إلى تنمية مهارات الفرد الذهنية التي تؤهّله للتعامل المباشر مع مصادر المعرفة دون وسيط بشري، مستبدلا إياه بوسيط معلوماتي واتّصالي. (نبيل على : ٢٠٠٠، ٣٤)

إن لهذه التغييرات المعرفية مضامين متعددة، جميعها تؤكد على أهّمية تحديث التّربية العربّية وتوجيهها في ضوء التعليم المستمر فالتعليم الأساسي والنظامي ينبغي أن يركّز بشكل أكبر على أهّمية مهارات التفكير العليا، وحل المشكلات. فمهارات استخدام أجهزة الذكاء الاصطناعي التي تؤهل الفرد لمواصلة تعليمه ذاتيا مدى الحياة بعيدا عن الأساليب الكلاسيكية التي لا تزال سائدة في الأنظمة التعليمية العربّية، وتضخّم المعرفة والتسارع المذهل في تآكلها يحتّم توفير برامج مستمّرة ومتنوعة تلّبي احتياجات الشرائح الاجتماعية والمهنية المختلفة، كي تتمكّن بصورة مرنة من الحصول على أي نوع من التدريب ترغبه، وفي أي زمن تشاء، بعيدا عن القيود والضوابط الكلاسيكية. ولعل القصور الواضح في فرص التدريب في أثناء الخدمة بالنسبة إلى التربويين والمعلمين والإداريين وغيرهم من الشرائح المهنية الأخرى، لدليل مهّم للغاية عند طرح مسألة التّربية المستمّرة. فالطريقة الكلاسيكية لتدريب المعلمين أو الإداريين، والتي تستلزم حضورهم في مكان معين، وما يستلزم ذلك من جهد ومال ووقت، جعل قلة من التربويين رغم كل ما يحصل من تغّرات في تخصصاتهم لا يحصلون على تدريب يذكر، والسّواد الأعظم منهم يمارس مهنته وفق معلومات وطرق تعلّمها منذ عقود إّبان دراسته الجامعية، وهذا يعكس الواقع الصعب الذي يعيشه مربو الأجيال وحجر الارتكاز في العملية التعليمية.

٤. التغييرات العالمية ورياح التغيير :

إن التغييرات العالمية المتسارعة في مجالات الاقتصاد والسياسة والاتصال والتقنية، أدت إلى تغييرات جذرية على الساحة الّدولية وأفرزت كثيرا من القيم والرؤى التي أصبحت تسيطر على الذهنية العالمية.

هذه التغيرات المتسارعة، شئنا أم أبينا، تفرض على الأفراد أن يتكيّفوا ويعيدوا التكيّف مع هذه الأوضاع في بيئتهم بصورة مستمرّة خاصة في مواطن العمل. فالتغييرات الحالية تؤدي في أحايين كثيرة إلى تغيير أنماط العمل وآليات تسييره، وتغييرات جذرية في الوظائف المستمدة والمهارات المطلوبة لها، إذ أصبح المرء في بعض المجتمعات يضطر إلى تغيير مهنته ما بين خمس إلى ست مرات في حياته أو أكثر. والتغيرات المشار إليها أدت إلى تسارع إلغاء الأعمال غير الفنية أو التي لا تستلزم مهارات فنية عليا، وازدادت فرص الأعمال المرتبطة بمهارات فنية.

إن التغييرات في وتيرة الحياة، وتبدّل القيم النسبي، وارتفاع مستوى المعيشة، اضطرت كثيرا من النساء العربيّات إلى الخروج للعمل ومشاركة الرجل فيه، وبعض الدارسين اضطروا إلى ترك الدراسة في سن مبكّرة، وانضموا إلى القوى العاملة لمساعدة أسرهم التي هي في أمسّ الحاجة إلى الدخل الإضافي، هذه القوى العاملة وبطبيعة الحال غيرها، تستلزم مهارات فنية وشخصية أصبحت اليوم ضرورية ولكنهم لا يملكونها، الأمر الذي ينعكس على كفايتهم وأدائهم، إن هذا التغيير في مشهد سوق العمل العربيّة، وما سيترتب عليه من نتائج عقليّة ونفسية واقتصادية، يستدعي توفير برامج مستمرّة للتوجيه والإرشاد الوظيفي، وبرامج التدريب المستمر، وإعادة التأهيل والتشغيل، وبرامج مخصصة لإكساب العاملين مهارات الحاسوب واللغات الأجنبية وفنون الإدارة البسيطة التي أصبحت أساسية للعاملين حتى في المستويات الإدارية والفنية الدنيا. وحجم الضغوط النفسية والعملية تحتّم التفكير في بناء برامج للترفيه وشغل وقت الفراغ لهؤلاء العاملين للمحافظة على توازنهم النفسي والعقلي والعاطفي الذي يبعث الحيوية والنشاط فيهم، ويحميهم من الانزلاق في متاهات الانحراف والسلوك غير السّويّ. إن تضافر وتكامل الجهد النظامي الرسمي وغير النظامي، ومؤسسات القطاع

الخاص والمجتمع المدني كفيل بتوفير البيئة الصالحة لمواجهة هذه التحدّيات، مواجهة حضارية واعدة تمكّن الأفراد من معاودة توافقهم مع بيئاتهم باستمرار، وتساعد على عملية الحراك الاجتماعي وتقليل الفوارق الطبقية، وتهيئة المناخات المواتية لتحقيق تنمية ثقافية مجتمعية أكثر غنى، وتحقيق مبادئ العدالة الاجتماعية، وهذه أمور أساسية لتحديث المجتمعات وتطويرها وتفعيل مقومات الجهد التنمّوي.(رزق منصور بديوى : ٢٠٠٨، ٦٥)

٥. الإيفاء بمستلزمات الطلب المتزايد على التعليم في الوطن العربّي:

الرغبة الجامحة في تزايد الطلب الاجتماعي في الوطن العربّي اليوم على التعليم والتمدرس نتيجة لنمّو الوعي الأسرى والثقافي ولاعتبارات اقتصادية واجتماعية ترتبط بتحسين مستوى الدخل والحراك الاجتماعي. ويعيق تحقيق هذا المطلب الاجتماعي الملح اعتبارات اقتصادية لا تمكّن بعض الدّول خاصة ذات الأوضاع الاقتصادية الخاصة من استيعاب كافة الراغبين والقادرين على التعلم، سواء في مستوى التعليم المدرسي الأساسي والثانوي أو العالي أو حتى البرامج الموجّهة إلى محو الأمّية. إن عدم القدرة الاقتصادية على استيعاب هؤلاء الراغبين هو الذي أدى في كثير من الحالات إلى عدم تطبيق سياسة إجبارية التعليم الأساسي، وترك الأمر اختيارا اجتماعيا ممّا ترتّب عليه انعكاسات اجتماعية وتربوية واضحة.

وبشكل عام، تعدّ الجامعات اليوم جامعات مغلقة لا تقبل الطلاب إلاّ في سنّ معّينة، وأن لا يكون قد مضى على تخرجهم من الثانوية العامة إلا سنوات محدودة، ومعدّلهم مناسبا، ومع كل هذا يمكن أن يزجّ بهم في تخصصات قد لا تناسب أوضاعهم أو اهتماماتهم. والطلبة المنتظمون بالجامعة، لا تسمح الإجراءات في أغلب الأحيان بانقطاعهم عن الدراسة للالتحاق بسوق العمل، والرجوع مرة أخرى إلى مواقع الدراسة في عملية تكاملية بين التعليم والعمل والدراسة والحياة.

التحديات الرئيسية في مجال التعليم المستمر:(Alexander, Neville, 2005)

لا يخلو اكتساب قاعدة مشتركة تتضمن مهارات مفيدة للتعليم المستمر من أجل تحقيق التنمية المستدامة، يكون شاملا للجميع وفعالا، من آثار في :

أ) توجيه مجموع المنظومات التربوية إلى النجاح في اكتساب قاعدة مشتركة من المهارات.

ب) إدماج عملية تنمية هذه المهارات (ذات الصلة بسائر مجالات الحياة ومدى الحياة)، في المستوى البرنامجي والمستوى المؤسسي، في الإطار الاجتماعي والاقتصادي من أجل تنمية مستدامة.

ونقدم، فيما يلي، عرضا موجزا بالتحديات الرئيسية، ولا يغيب عن أذهاننا أن بعض البلدان قد يكون لديها أولويات أكثر من البلدان الأخرى :

(أ) التحديات المتصلة بمنظومة التعليم المستمر :

سوف تكون القضايا الرئيسية المتصلة بهذا المجال كالتالي:

١) انتقاء المهارات : التحديد والانتقاء الفعليان لمجموعات المهارات والكفاءات والمعارف والقيم والمواقف الملائمة وذات الصلة بالموضوع : إمكانية إيجاد منهجية تيسّر حوارا موسعا وديمقراطيا يمكن من اتخاذ قرار بشأن المهارات المطلوبة، مع أخذ احتياجات مختلف الفئات العمرية وتنوع السكان في الحسبان، و الدروس التي يمكن استخلاصها من عملية منظمة التعاون والتنمية في الميدان الاقتصادي .

٢) حشد الناس : إمكانية إنشاء سياسة توجيهية وبيئة مؤسسية تكونان قادرتين على حشد الخبرات في المنظومة وتركيز طاقات الأفراد وابتكاراتهم بما يجعلها تعكس مجتمعةً تدابير بهدف إزاحة الصعوبات من هذه المنظومة، والعمل من أجل توسيع مدى فرص التعليم المتنوعة وتعزيزها، واستحداث آليات دعم متكاملة وعادلة وفعّالة، في المستويين المهني والمادي.

٣) التنمية المؤسسية : تظل العديد من الأسئلة الخاصة بالترابط القائم فيما بين مختلف أنواع التعليم الأساسي (مسالك التعليم) معلقا إمكانية إقامة ممرات بين مختلف أنواع التعليم بما يجعلها تؤدي عملا فعالا .

٤) إطار البرامج الدراسية : بخصوص إعداد البرامج، يكمن التحدي في إعداد إطار عام لبرامج التعليم الأساسي تكون مؤسَّسة على المهارات والكفاءات وشديدة الصلة مباشرة بالظروف الواقعية لحياة شباب البلد المعني، وتأخذ في الاعتبار تنوع هذه الظروف (كما سبق وسلّم بذلك نداء كيغالي من أجل العمل، ٢٠٠٧)، ويمكن للبلدان أن تفكر في خبراتها بما في ذلك الاستراتيجيات الرامية إلى تحسين البيئة التعليمية المادية (الوسائل التعليمية للمتعلِّم)، وإعداد تقنيات تربوية مبتكرة وشاملة للجميع، وثمة قضية جوهرية ألا وهي الكيفية التي يمكن بها ربط قاعدة المهارات المشتركة بتطوير المهارات المهنية في الإطارين النظامي وغير النظامي.

٥) التقييم : بالنظر إلى ما تكتسيه طرائقُ التقييم من أهمية أساسية لتحديد ما يُدرَّس بالفعل، من المهم دراسة هذه الطرائق والانتهاء إلى منظومات ملائمة توفر بعض الردود والتعاليق الفعلية بخصوص نوع المهارات المكتسبة ومستويات النتائج التي يبلغها المتعلمون.

٦) المدرِّسون والتدريس : من الضروري إيلاء عناية للطريقة التي يمكن بها مساعدة المدرسين في تطبيق هذه البرامج التعليمية بطريقة فعالة، الكفاءات التي يحتاجونها، هي القيود الرئيسية التي تحول دون انكباب المُدرِّسين على اكتساب المعارف والمهارات الأساسية ، المظاهر التي يجب تعديلها من النماذج الحالية لتدريب المدرسين وتطويرهم في المجال المهني ، إسهام تطبيقات تكنولوجيا المعلومات والاتصالات في تعليمٍ وتعلُّم فعّالين .

٧) لغة التعليم : إن المبادرات التي اتخذتها البلدان لحل المشاكل المتصلة بلغة التعليم في مستويات مختلفة من المنظومة مع تمكين كل المتعلمين من

فرصة تعلّم لغة أم أفريقية ولغة دولية ملائمة وتحتاج إلى مشاركات بخصوص المبادرات الرامية إلى تغيير السياسات اللغوية عبر مختلف مستويات المنظومة، وسوف يكون من المفيد أيضا إجراء تحليل لمدى وكيفية ما تفضي إليه الممارسات اللغوية والبرنامجية من إبقاء على غياب المساواة.

٨) تنمية القدرات : يتعين على أن ننظر في مختلف الاستراتيجيات والطرائق المتوخاة لمزيد من تنمية القدرات البشرية والتنظيمية المطلوبة لضمان فعالية إعداد البرامج المتصلة بالمهارات وتنفيذها ومتابعتها، وينبغي في هذا المضمار، إيلاء المربين عنايةً خاصة في كل المستويات وفي سائر أنواع التعليم بما في ذلك أنماط وطرائق الإدارة المؤسسية الفعالة، وكذا بالنسبة إلى الإشراف المهني وهياكل الدعم .

٩) دور تكنولوجيا المعلومات والاتصالات : ينبغي تخصيص عناية فائقة للدور الذي تنهض به تكنولوجيا المعلومات والاتصالات في تحسين الوصول إلى قاعدة مهارات مشتركة بالنسبة إلى مختلف الفئات العمرية والرفع من جودة العمليات التعليمية وصلتها بالواقع لصالح المتعلمين والمدرِّسين، وما يمكن أن تفعله البلدان لتحسين استغلال المعدات والطرائق وتطوير المضامين في مجال تكنولوجيا المعلومات والاتصالات.

١٠) فعالية البرامج : النظر في التنمية المستدامة للفعالية الداخلية والخارجية لبرامج تنمية المهارات داخل المدرسة وخارجها وبالنسبة إلى مختلف الفئات العمرية مع أخذ ما يتضمن ذلك من مسائل متصلة بالعدل في هذا المجال، تأثير برامج تنمية المهارات في أية فئات من المتعلمين و المزايا المترتبة عن دخول معترك الحياة العملية وسوق العمل، واستخدام الشبان ما يكتسبونه من مهارات .

١١) الشراكات : بالرغم من أن فكرة الشراكة بين القطاعين الخاص والعام كانت محل عناية فائقة خلال اجتماع موبوتو، فقد يكون من الضروري أيضا أن ينظر الاجتماع القادم في المدى الحقيقي وجودة ونتائج مختلف أنماط الشراكات المعقودة في إطار برامج التعليم الأساسي، وسوف يكون من الضروري تقييم أدوار الدولة والمجتمع المدني والقطاع الخاص، ومادام من الجوهري أن تتحمل الحكومات غالبية المسؤوليات لضمان وصول كل المتعلمين إلى التعليم على نحو عادل وبحسب ما تتيحه إمكانياتهم، فعلى هذه الحكومات أن تنمي القيادة والقدرات الضرورية بما يجعلها قادرة على تحمل هذه المسؤوليات بفعالية، وتكون التعاليق مفيدة أيضا لتقييم التقدم المحرز في مجال التعاون بين السلطات العامة والأجهزة التنظيمية التي يمكن للشركاء فيها تقديم إسهامات شاملة ومفيدة تخدم تنمية التعليم.

(ب) التحديات المتصلة بالإدماج الاجتماعي والاقتصادي :

تكمن المشاكل الرئيسية الواجب النظر فيها والمتصلة بهذا المجال في:

١) الرؤى والمهارات : تدعو الحاجة إلى دراسة العلاقات القائمة بين اختيار قاعدة المهارات المشتركة والرؤى، والخطط والاستراتيجيات المتصلة بالتنمية المستدامة، ويمكن ترجمة هذه الرؤى إلى مجالات مهارات تكون ذات أهمية بالغة بالنسبة إلى التطور الشخصي وإعداد مواطنين مؤثِّرين، ويمكن أيضا ترجمة هذه الرؤى إلى مجالات مهارات تكون شديدة الارتباط مباشرة بالأبعاد الكلية للتنمية المستدامة.

٢) المشاركة الخارجية : يشير إدماج الجانب الاجتماعي والاقتصادي أيضا إلى المشاركات التي يمكن أن يقدمها آخرون في اكتساب قاعدات مهارات مشتركة، وفي هذا المستوى يمكن النظر في الأدوار المستقبلية والحالية التي يضطلع بها الآباء والمجموعة برمتها والحِرفيون المحليون وكبرى المؤسسات في اكتساب المهارات، إذ أن دور الآباء جوهري من حيث تعزيز

المهارات في المجال الشخصي، ثم إن الاتصال بالأطراف الاقتصادية الفاعلة يتيح النهوض بوعي الوسط المهني والكفاءات الأساسية المطلوبة، ومن الضروري النظر في غياب الانسجام بين ما يُتعلّم داخل البيت وما يُتعلّم في سياق الحياة والعمل.

٣) تكافؤ الفرص : من الضروري القيام بدراسات بعينها من أجل تحديد الاحتياجات والخبرات في مجال النهوض بمشاركة الجميع وتكافؤ الفرص، وذلك فيما يخص الذكور والإناث والشبان من مختلف الأوساط الثقافية، أو الفوارق بين المتعلمين في الأوساط الريفية، من جهة والأوساط الحضرية، من جهة ثانية، وتأثيرات استراتيجيات التغيير في مختلف المجموعات المستفيدة وفي جودة حياتها والفرص المتاحة لها، ونتائج برامج تنمية المهارات وآثارها.

٤) الشباب في مواجهة الأزمات : قد يكون من المهم تعميق معرفة الطريقة التي تعمل بها مختلف البرامج التعليمية بالنسبة إلى الشباب عند اندلاع الأزمات. كيف يمكن للتائهين من الشباب بفعل الأزمات وآثارها أن يعادوا إلى المنظومة التعليمية؟ كيف يمكن إدراج أنواع اكتساب المهارات المختارة في البرامج الشاملة الخاصة بالرعاية وإحداث فرص العمل والتوظيف وإعادة البناء الاجتماعي وعلاقة ذلك ببرامج التعلّم مدى الحياة، التي يمكن أن يستفيد منها أيضا مقدّمو الرعاية والأقارب الأكبر سنا .

تعليق على المحور الأول :

إن التغييرات في وتيرة الحياة، وتبدّل القيم النسبي، وارتفاع مستوى المعيشة، اضطرت كثيرا من النساء العربيّات إلى الخروج للعمل ومشاركة الرجل فيه، وبعض الدارسين اضطروا إلى ترك الدراسة في سن مبكّرة، وانضموا إلى القوى العاملة لمساعدة أسرهم التي هي في أمسّ الحاجة إلى الدخل الإضافي، هذه

القوى العاملة وبطبيعة الحال غيرها، تستلزم مهارات فنية وشخصية أصبحت اليوم ضرورية ولكنهم لا يملكونها، الأمر الذي ينعكس على كفايتهم وأدائهم، إن هذا التغيير في مشهد سوق العمل العربّية، وما سيترتب عليه من نتائج عقلّية ونفسية واقتصادية، يستدعي توفير برامج مستمّرة للتوجيه والإرشاد الوظيفي، وبرامج التدريب المستمر، وإعادة التأهيل والتشغيل، وبرامج مخصصة لإكساب العاملين مهارات الحاسوب واللغات الأجنبية وفنون الإدارة البسيطة التي أصبحت أساسية للعاملين حتى في المستويات الإدارية والفنية الدنيا،إن تضافر وتكامل الجهد النظامي الرسمي وغير النظامي، ومؤسسات القطاع الخاص والمجتمع المدني كفيل بتوفير البيئة الصالحة لمواجهة هذه التحّديات، مواجهة حضارية واعدة تمكّن الأفراد من معاودة توافقهم مع بيئاتهم باستمرار، وتساعد على عملية الحراك الاجتماعي وتقليل الفوارق الطبقية .

المحور الثاني: التربية البرجماتية:

لعل أقرب تربية في تحديد فكرة التعليم المستمر هي التربية البرجماتية وقد ركزت هذه على أهمية التربية في مجال التغيير الاجتماعي، ويرى "بيرجفن" مع "لندمان" النظرة إلى الهدف من هذا التعليم أنه التغيير الاجتماعي، إذ أن الإنسان لا يمكنه الانفصال عن مجتمعه، كما أن النمو الفردي هدف لخدمة المجتمع . ولعله من الجدير بنا هنا الإشارة إلى الفلسفة البرجماتية كونها الفلسفة التي تحدد معالم هذا النوع من التعليم .

مفهوم التربية البرجماتية وأهم أفكارها:

تدعو البرجماتية العملية إلي العمل والبحث وسميت بالوظيفية الأداتية أيضا. وترى أن الطبيعة الإنسانية مرنة ووظيفية وأن التغير هو أساس الحياة فليس هناك حقائق ثابتة ، وأن التعلم يكون بالعمل، وأن التغيير هو جوهر الحقيقة، وأعلت التربية البرجماتية من أهمية الديمقراطية كطريقة في الحياة وأما نظرتها للعالم فهو عالم غير ثابت بل في حالة تغير وخلق مستمر ويخضع للتجربة والبحث العلمي

وتنظر البرجماتية للقيم بأنها أيضاً متغيرة وتؤمن بعدم خلود المثل والقيم وأنها نسبية (أحمد فؤاد الأهوانى : ١٩٦٨، ١٣٦)

ويرى أصحاب هذه التربية أن التربية هي الحياة وليس إعدادا لها بمعني أننا نربي الجيل لكي يحيا ، ودور التربية هنا هو تعليمه كيف يفكر حتى يستطيع أن يتكيف مع مجتمع دائم التغّير، وبالتالي يجب على المدرسة أن تنمى لدى التلميذ الخبرات التي تساعده على أن يحيا حياة تساعده على أن يكون سعيدا .ولهذا يتطلب من المدرسة الاهتمام بالنواحي التالية : (عبد الحكيم كرام : ٢٠٠٦، ٣٧)، الصحة العامة، المهارات المهنية، الهوايات وشغل الفراغ، الإعداد للحياة الاجتماعية، والقدرة على التعامل بكفاءة مع المشكلات .

التربية هنا ليست عملية بث المعرفة للمتعلم من اجل المعرفة وإنما لمساعدة الطفل علي مواجه احتياجات البيئة. والتربية هي نظرة ايجابية للطفل كونه كائنا اجتماعيا ايجابيا مبتكرا لا ينمو إلا بالاتصال مع الآخرين . وهذا يتفق مع تعريف جون ديوي التربية بأنها (عملية مستمرة لإعادة بناء الخبرة)

خلاصة تعريف التربية عند ديوى " عملية تفتح ونمو لشخصية الفرد، وهى في الوقت نفسه عملية اجتماعية تهدف إلى تطوير المجتمع وتحسينه " رفض ديوى من ينادى باستقلالية المدرسة عن المجتمع ونادي بدورها في إحداث تطوير للمجتمع وتحسين مستمر من قبل التربية أي أن المدرسة وسيلة من أهم الوسائل لإصلاح المجتمع وتحسينه وإعادة بنائه .

التعليم المستمر في التربية البرجماتية:

من خلال تعريف جون ديوى للتربية يرى الباحث أن هذا التعريف يحوى في طياته معالم التعليم المستمر التي وردت في كل الكتابات الأدبية وعلى رأسها الإسلامية، بمعنى لكي يساعد الطفل على مواجهة احتياجات البيئة لابد أن يمتلك مهارات مهنية تؤهله لأن يتعلم تعليما مستمرا مدى الحياة حتى يستطيع أن يتكيف

مع مجتمعه الذي هو في حالة تغيير دائم لكي يجارى هذا التغير عليه ألا يكتفي بالتعليم النظامي فحسب بل لابد أن يسعى إلى تعليم أخر مستمر مكتوب له صفة الاستمرار حتى ينهض بمستواه الفكري .

جون ديوى أحد أهم رواد التربية البرجماتية عندما أنشأ أول مدرسة ابتدائية ضمن التعليم المستمر في برامجها عندما دعا إلى وجوب الاتصال والتعاون بين المدرسة والبيت ووجوب اتصال خبرات التلاميذ في المدرسة بخبراتهم في المجتمع الخارجي أي التعليم المستمر ووجوب جعل الأطفال يتعلمون عن طريق خبراتهم ونشاطهم الذاتي، ووجوب احترام ميول التلاميذ وحاجاتهم وحريتهم في التعبير عن أنفسهم إلى غير ذلك من المبادئ .

ولعلنا قد أدركنا مما سبق العلاقة بين البرجماتية والتعليم المستمر، من حيث أن الأصول الفلسفية لهذا التعليم، تتحدد من خلال الفلسفة البرجماتية التي تقوم على التغيير المستمر وأنه لا يوجد حقيقة مطلقة بل تتجدد هذه الحقائق وفقا للعوامل المحيطة من زمان ومكان ومؤثرات، وحيث أن هذه الفلسفة تنظر للتربية بأنها هي الحياة فكأنها تقول إن الحياة كلها تربية أي تعليم مستمر حتى النهاية التي تتحدد بنهاية الحياة .وهذا يتفق مع الحديث "اطلبوا العلم من المهد إلى اللحد " طالما الإنسان في معيشته على وجه الحياة فهو في حالة تعليم مستمر وازدياد مدى الحياة .

وهذه الفلسفة تبرز أهمية التعليم المستمر في مواجهة التغير المستمر، وكل ذلك يصب في خدمة المجتمع الذي يمنح ثقته في المتعلم بإعطائه كامل الحرية لإيمانه بضرورة أن النظام يجب أن ينبع من التلميذ نفسه، ومن شعوره بالمسؤولية الملقاة عليه .

و يلخص الأهوانى نظرة ديوى للتعليم المستمر من خلال نظريته التربوية بما يلي:

- التربية هي الحياة نفسها وليست الإعداد للحياة، فهي مرتبطة بشئون الحياة أشد الارتباط طالما هي مرتبطة بشئون الحياة إذا تخضع للتعليم الذاتي المستمر مدى الحياة مع عدم التفريط في التعليم النظامي، ولعل ارتباطها بشئون الحياة من حيث كونها ظاهرة طبيعية بمقتضاها يصبح الإنسان وريثا لما حصلته الإنسانية من حضارة . (جون ديوى : ١٩٨٧، ٧١)
- التربية عملية نمو مما يتطلب مراعاة شروط النمو وشروط التعلم البيولوجية والنفسية .
- التربية عملية اكتساب للخبرة وهذا يعنى مراعاة شروط اكتساب الخبرة"تفاعل الفرد مع بيئته الاجتماعية .هذا التفاعل يقوم على التعليم والتعلم .
- التربية عملية اجتماعية فلابد أن تتضمن تفاعلا اجتماعيا، وتتم في جو ديمقراطي وجو اجتماعي صالح (محمود قمبر : ١٩٩٦، ١٤٥)
- تتم هذه التربية لا شعورياً عن طريق المحاكاة بحكم وجود الفرد في المجتمع، ومنه تنتقل الحضارة من جيل إلى آخر.
- التربية المقصودة تقوم على العلم بنفسية الطفل ومطالب المجتمع من جهة أخرى، فالتربية ثمرة عمليتين هامتين هما علم النفس وعلم الاجتماع .

ذكرنا سابقا يتبين لنا أن التعليم المستمر يقوم على فلسفة أن التربية تستمر باستمرار الحياة، وذلك لتطوير الذات الفردية والتي من خلالها يتوصل إلى تطوير المجتمع، وكأن ذلك متابعة لكل جديد كل في مجاله إذ أن فلسفة التعليم المستمر المتظللة بظلال الفلسفة البرجماتية تتيح للفرد حريته في التربية وتطلق لقدراته الخاصة ومواهبه العنان في الوصول إلى أقصى ما يستطيع، وتجديد خبراته ومعارفه باستمرار لا يتوقف إلا بتوقف الحياة،ومن هنا فإن كلاً مناطٌ به تطوير ذاته من خلال التعليم المستمر والتثقيف الذاتي سواءً كان ذلك فردياً أو ضمن

مؤسسات اجتماعية معدة لهذا الغرض وكل هذا في النهاية يولد لنا مجتمعاً متناسقاً مع عصره، و مواكباً له .

مواءمة التعليم المستمر لأهداف التربية البرجماتية :

الهدف من التربية البرجماتية استمرار التربية حيث كان لهذا المفهوم أهميته في ظهور اتجاهات تدعو إلى التعليم المستمر والتعليم مدى الحياة.،حيث عملت على تنويع التعليم ودعت إلى توفير خيارات واسعة إمام المتعلمين من خلال توفير أنماط متنوعة من التعليم.هذا الهدف يتفق تماما ويتلاءم مع كل ما يتعلق بالتعليم المستمر لأن الحياة لاتتوقف على نمط تعليمي واحد بل لابد من عدة أنماط تعليمية مختلفة كل منها يلعب دورا في تنمية المجتمع تنمية مهنية مستدامة .

وتؤكد التربية البرجماتية على أخلاقيات مهنه التعليم أيا كان نوعه مستمراً كان أو غير مستمر وتتوقع من المعلم ألا يحجب خبرته عن المتعلمين، وألا يقدمها بطريقه واحده. وألا يمنع طلبته من التعبير عن خبراتهم بل يتوجب عليه أن يشجعهم على التعبير عما يجول بخواطرهم وأن يوفر لهم الظروف المناسبة لتأدية هذه المهمة، و تعتقد إن من مهام التربية تحرير عقول المتعلمين والمعلمين من ظاهره التصلب في الرأي وتجاوز الأفكار التقليدية والمتخلفة وغير النافعة.هذا الهدف يتسق تماما مع نمط التعليم المستمر غير المفروض على المتعلم،الذي يدعو إلى اختيار المتعلم ما يحبه من أنواع التعليم الذي يراعى مواهبه وإمكاناته وقدراته العقلية والوجداني . (عمر الشيبانى، ١٩٧١، ٣٢٢)

إعداد الفرد إعدادا فكرياً وعقلياً واجتماعياً للتكيف مع بيئته البيولوجية والاجتماعية والعمل علي تطويرها ومساعدته على النمو الكامل لشخصيته. يعتقد الباحث أن هذا الإعداد الشامل انطلق من التعريفات السابقة لمعنى التربية والذي يحتوى على تعريف التعليم المستمر بل هو التعليم المستمر في حد ذاته.

ويتفق هذا مع ما ذهب إلية عبد الدايم (١٩٨٧)،وحقيقة الأمر أن التّربية المستمّرة في صبغتها العامة، مفهوما يتضمن الإعداد الشامل للإنسان، طبقا لمسلك تربوي يستمر طوال حياته، ويستدعي نظاما كاملا تنّسق به كل أنواع التّربية، ويقدم الوسائل المناسبة التي تستجيب لتطلعات كل فرد : التربوية والثقافية والمهنية بالشكل الذي يتوافق مع قدراته. ومن ثّم، فالتّربية المستمّرة، طبقا لهذا المفهوم، أكبر من تعليم الكبار. إنها تبدأ مع الطفل قبل أن يلتحق بالمدرسة الابتدائية حيث تقّدم له صيغا تربوية لا نظامية تقوم بها الأسرة والبيئة المحيطة بها بكل وسائلها التربوية، ودار الحضانة، وروضة الأطفال. وتستمر معه تلميذا في كل مراحل التعليم العام، تربط الكتاب بالحياة، والمدرسة بالمجتمع، والتعليم بالتعلم، كما تصاحبه بعد التخرج من جامعته، وتهّيئ له استمرارية التعليم والنمّو فيه بما يتناسب مع حاجاته وقدراته. (عبد الله عبد الدائم : ١٩٨٧، ٩٧)

- الهدف الأعلى من التربية هو تحقيق استمرارية التربية، بأن تساعد الفرد على أن يستمر في تربيته مما يؤدى إلى نموه وتعلمه، وتكيفه مع بيئته وحياته ولعل الهدف الاسمي للتربية البرجماتية يسير جنبا إلى جنب مع الدعوة إلى طلب العلم من المهد إلى الحد، دلالة على الترابط بين التربيتين الإسلامية والبرجماتية في تناول التعليم المستمر.
- مساعدة المتعلم علي فهم العالم المعقد في مظاهره الفكرية والمادية من خلال تبسيط العلوم وتطهيرها من الشوائب والمعلومات غير المناسبة .هذا يتأتى بعدم الاعتماد على التربية النظامية فقط إنما بالأخذ بالتعليم المستمر وتعميمه وإلزام الأفراد به نظرا لشموله ومقدرته على إحداث الانسجام والتوافق والاتزان في شخصية المتعلم مع بيئته، أتساع نطاق التعليم المستمر يعلم الفرد كيف يفكر ويزوده بالخبرات اللازمة والمهارات الملائمة علي حل المشكلات بما يحقق له النفع في حياته مما يساعده على تحقيق التنمية المستدامة .التي تتم

عبر تحقيق استمرار النمو العقلي والجسدي والاجتماعي المتكامل للفرد.وإشراك المتعلم في تكوين الأهداف التي توجه نواحي نشاطه في عملية التعلم، فأهداف التربية تنبع من حاجات التلميذ وخبراته ونشاطاته أو على الأقل يشترك في تحديدها في ضوء خبراته السابقة وحاجاته.

لقد أصبح التعليم المستمر ضرورة فرضها الزمن منذ القدم، تطورت بتقدمه وتزايدت بتزايد حاجات المجتمع، وفتحت ميادين تسابق مضنية تحتاج إلى لياقة تجددية مستمرة، واستراتيجيات موافقة لمتطلبات المرحلة، من تطوير للذات واكتساب للمعارف الجديدة، وتوظيفها في مهارات تخدم المجتمع خدمة تنطلق من الفرد وتعود إلى الفرد.

للقارئ أن يتخيل لو وضعت هذه الأهداف بدون عنوان سيعتقد للوهلة الأولى أنها أهداف التربية الإسلامية، ففي هذا دلالة على تكامل العلوم وتواصلها بصرف النظر عن الأبعاد العقائدية، وهذا يدل في حد ذاته على أن التربيتين الإسلامية والبرجماتية هما من أكثر أنواع التربية تأصيلا لمعنى التعليم المستمر الواضح في المفاهيم والمصطلحات والأهداف الخاصة بالتربيتين .

- الميول والنشاطات الفردية للطفل تنظم من خلال النشاطات الجماعية التي تعكس مستوى تطور المجتمع.-مهمة المدرسة هي تدريب المتعلم على التعاون وتبادل التأثير للوصول إلى هدف مشترك.ففي الفكر العالمي المعاصر، لم تعد المدرسة هي المؤسسة الوحيدة التي يتعلم فيها الأفراد، بل أصبح المجتمع بأسره وبكل مؤسساته وشبكاته عبارة عن مدرسة كبرى للتعليم، والتعليم المدرسي لم تعد وظيفته مجرد نقل التراث والحفظ والتلقين، بل أصبحت رسالته إكساب الدارسين مهارات التعلم الذاتي – الذي يعد أحد أنماط التعليم المستمر– والقيم والمهارات التي تسهم في تحسين نوعية الحياة، وتحقيق تنمية مستدامة على كافة الأصعدة وإكساب الدارسين مهارات التكّيف

وإعادة التكّيف مع المتغيرات المتسارعة وحل المشكلات وقيم الحوار والتعايش والتسامح. (Frederick Eby :1960,610-611)

- أساس التعليم يبنى على اكتشاف الرغبات الخاصة والقدرات الشخصية عند المتعلم. وعلى اكتشاف ما يحتاجه وتدريبه لتكيف مع الوسط. لان رياح التغيير التي هبت على العالم أجمع، ألزمت الأنظمة التربوية على المستوى العالمي إعادة النظر في خططها وبرامجها، ورؤاها وممارساتها التربوية، لتتلاءم مع جوهر هذه التغييرات وروحها. ورغم أنه لا يمكن الفصل البتة بين فلسفة التّربية والفكر الإيديولوجي الموجّه لهذه الفلسفات، إلا أن فلسفة التّربية المستمّرة اعتبرت في المجتمعات المعاصرة أنموّذجا حضاريا يمكن الاستناد على موجّهاته، غير الإيديولوجية بطبيعة الحال، لتطوير الأنظمة التربوية أيا كانت، وتجويدها.(حسين سليمان قدورة : ١٩٧٢،٢١٠)
- الطالب كائن باحث يستطيع أن يعلم نفسه من خلال المشاركة في النشاطات .من وجهة نظر الباحث أن هذه السمات لا تستطيع التربية النظامية أن تحققها بمفردها بل يستوجب الأمر الإلمام بنظام التعليم المستمر بجوار التعليم النظامي والمزاوجة بين هذين النوعين من المعارف، أساسي لإحياء الكون ولمواكبة التغيير. لان التغيير سمة وناموس من نواميس الكون، لا يمكن إيقافه إلا بالتعامل اليقظ والواعي من خلال إعداد العدّة له، ومن هذا المنطلق نرى اتفاقا بين الماضي وأصالته ومتطلّبات النمّو والتغيير الذي تدعو له التربية البرجماتية. فيروى عن علي بن أبي طالب – رضي الله عنه – أنه قال : " لا تقسروا أولادكم على آدابكم، فإنهم مخلوقون لزمان غير زمانكم، مما يدلل على ترك قدرات الطلاب على اختيار ما يلائمهم من معارف .الأخذ بالنظامين معا التعليم النظامي والتعليم المستمر الذي ينبغي أن يكون متوفرا لكل الأفراد بصرف النظر عن المعوقات وليرفع شعار تعليم

لكل من يحتاجه ويريده وفى أنى وقت يحتاج إليها فيه، وفي أي مكان يعيش فيه، وبالطرق التي تتلاءم مع كل ما يحتاج لتحقيق النجاح، والسيطرة على المعرفة التي تؤهله للاستفادة مما تعلمه والاستمرار في هذا حتى نهاية حياته.

آليات تطبيق التعليم المستمر من وجهة نظر التربية البرجماتية:

- من رؤية الفلسفة البرجماتية للتربية أن التربية هي الحياة وليست الإعداد للحياة يمكن أن نعرف التربية في ضوء هذه الفلسفة بأنها : "عملية مستمرة من إعادة بناء الخبرة بقصد توسيع وتعميق محتواها الاجتماعي" (على خليل أبو العينين : ١٩٨٧، ٩١)
- لا تضع الفلسفة البرجماتية أهدافا ثابتة أو محددة للتربية وذلك لأن "المستقبل غيب لا يمكن التكهن به ". (صالح عبد العزيز:١٩٦٤،٣٦٤) وعلى هذا فإن وضع أهداف تربوية تحكم المستقبل أو مناهج تربوية لتشكل الأجيال المقبلة، يعد رجما بالغيب .
- تنظر البرجماتية للإنسان ككل، فهي تؤمن بأهمية إعداد الشباب للحياة، وبتلك الثقافة التي يعيش فيها، وبالتالي تتعدد مجالات التربية من جمالية، ودينية، وعقلية، وخلقية، (على خليل أبو العينين : ١٩٨٧،٢٧٠-٢٧٣)، وكل هذه الأشياء" لا تطلب لذاتها، بل لأن وراءها نفعاً .ولذا يجب أن يحصل الشباب على معاني الأشياء بدرجة ما، حتى لو لم يذهبوا إلى المدارس مطلقا، ونحن ننشئ المدارس لهذا الهدف في ظروف مثالية " . (سيد إبراهيم الجيار : ١٩٧٧، ٢٠٧)
- تؤكد البرجماتية على ضرورة تنويع الوسائل لتحقيق الأهداف، حيث أن الطريق التربوي هو طريق موصول من النمو، ومن هنا فإنها لا تفصل بين مادة التدريس وطريقته .

- تؤكد البرجماتية على ضرورة مراعاة الفروق الفردية، وتوفير الحرية لكل فرد، يعمل في مجال التربية .المناهج الدراسية وحدات ديناميكية هادفة، والمنهج الأنسب هو حل المشكلات . (منير المرسى سرحان :١٩٧٣، ٥٨)
- المنهج الدراسي هو " أداة التربية التي تعين الإنسان على مواجهة المواقف، وحل المشكلات اليومية بطريقة وظيفية فعالة "(رالف ب وين : ١٩٦٤،٦٤)، فالبرجماتية لا تهدف إلى ملء عقول الطلاب بالحقائق الثابتة بل هدفها الرئيس هو التدريب على إعادة ترتيب وتنظيم الخبرات السابقة في سبيل "تنمية العقلية الابتكارية المنتجة،أي تنمية القدرة على التفكير الابتكارى الخلاق والذي يساعد على إحداث تنمية مستدامة."(على خليل أبو العينين : ١٩٨٧،٢٦٩)

خلاصة القول وضوح الاتفاق على أن التعليم المستمر، مفهوم يتضمن الإعداد الشامل للإنسان، وفقا إلى تطلعات كل الأفراد سواء أكانت تربوية أو مهنية بشكل فيه توافق مع قدرات الأفراد و يتناسب مع حاجاتهم وقدراتهم.وهذا يستدعى منا أن نلقى الضوء على مايلى:

مفهوم الطالب في الفلسفة البرجماتية .

إذا كان العمود الفقري في أي تربية هو الإنسان لأن التعليم المستمر وجد لخدمة الإنسان في كل زمان ومكان، فلابد أن يتعرف الباحث على مفهوم الإنسان المعلم في التربية البرجماتية آيا كان طالبا أو معلما، والمهم في رأي البرجماتية في العملية التربوية التأكيد على أمرين الأول: العناية باهتمام الطالب والثاني: العناية بحب الاستطلاع لديه وذلك لأنهما يحفزانه على التعلم بصفة أساسية،أما فيما يخص المعلم عند أصحاب هذه النظرية فإن وظيفته تكون في قدرته على تنظيم الخبرة وبيان الاتجاه الذي تسير فيهفضلاً عن قدرته على شحذ أذهان التلاميذ وهو بذلك يكون عوناً للحرية لا قيدا لها.والبرجماتية لم تجعل من

المعلم محوراً للعملية التربوية فحسب، فوظيفة المعلم من وجهة نظر البرجماتية ليس مجرد تدريس الأفراد، بل تكوين الحياة الاجتماعية الصحيح.عن طريق النمو "فهو الخاصية المميزة للحياة ، فالتربية والنمو صنوان ليس للنمو غاية تتجاوزه، أو تعلو علية، فغاية النمو هو النمو لذاته " . (أحمد فؤاد الأهوانى : ١٩٦٨، ١٣٩) .

الطالب هو محور العملية التربوية وهدفها ، ومن هنا يجب مراعاة ميوله واهتماماته وحاجاته .هذا يتفق تماما مع التعليم المستمر، لأن التعليم النظامي لا يراعى ميول الطلاب ولا اهتماماتهم ولا احتياجاتهم لأنه مفروض عليهم في صورة نظامية .ويجب أن يربي الطالب باعتباره كائنا ايجابيا مبدعا ومبتكرا ، ومن هنا ينبغي تعليمه التعليم التعاوني، وكيف يكيف نفسه مع الآخرين ، وكيف يحل مشكلاته .ضرورة العناية بطموحات الطالب وتطلعاته وتنمية حب الاستطلاع لديه وتمرينه علي الذكاء .ترفض التربية البرجماتية استخدام العنف واستخدام الشدة مع الطالب، فمهمة التدريس هي توجيه النشاط الذاتي الهادف له، وجودة الخبرة تعتمد على عملية التفاعل بين المتعلم والموقف. وبالتالي فإن محور العملية التربوية هو المتعلم وحاجاته إضافة إلى الأهداف الاجتماعية والسياسية والثقافية والقيمية المتمثلة بخبرة الكبار وما التربية إلا عملية تفاعل دينامي لهذه العوامل . مع ضرورة مراعاة الفروق الفردية بين الطلبة ومراعاة ميولهم ودوافعهم وتدريبهم علي الاعتماد علي النفس. (على خليل أبو العينين : ١٩٨٧،٢٧٦)

مفهوم المعلم في الفلسفة البرجماتية

المعلم ميسر للعملية التعليمية وليس مسيطرا عليها فهو متسامح ودود ، يتمتع بعقل واسع ومتحمس لعمله .لا يسعي المعلم إلي حشو عقول الطلبة بالمعلومات بل يقدم لهم الخبرات التي تساعدهم في التعامل مع الحياة .لا يقوم المعلم بتدريس المواد بطريقة منهجية بل يتعامل مع الوحدات المتجانسة والخبرات المتشابهة التي تحقق فهما أفضل لطلبته .يساعد المعلم في تنمية قدرات طلبته

للقيام بتجارب مستقبلية ويقترح علي طلابه المشكلات ويقودهم إلي حلها بالطرق العلمية . (Cropely,A.J&Dave,EH:1977)

مفهوم المنهاج في الفلسفة البرجماتية

يرى جون ديوي أن المنهاج بنبعي أن ينطلق من خبرات الطفل وليس علي أساس تقسيم المنهج إلي مواد منفصلة ، كما يرى أن تدريس المنهاج يجب أن يتم عن طريق ربطه بالحياة ومشكلاتها، ربط الحياة بمشكلاتها يأتي عبر التعليم المستمر مدى الحياة .يجب أن يتضمن المنهاج النشاطات والأعمال اليدوية حول عدد من المهن الاجتماعية السائدة كالطبخ والحياكة والحدادة، المنهاج في التربية البرجماتية لا يهتم بالتراث الثقافي والاجتماعي في الماضي بقدر ما يركز علي الحاضر والمستقبل، يحاول المنهاج التوفيق بين حاجات الطفل وبين الخبرات اللازمة لفهم مشكلات الحياة. (عبد الله عبد الدايم : ١٩٩٧، ٣٨)

ومن خلال هذا التصوّر، يتضح أن أي جهد واع ومسئول ومبرمج وفق خطة واضحة، تقوم على الاهتمام بالمراحل العمرية المختلفة مكتوب له الاستمرار مدى الحياة ومرتبط أيضا بالحياة.، و جزء لا يتجزّأ من طبيعتها البشرية،، هذا يعنى التعليم، وينبغي بالتالي ألا تعدّ المنظومة الوحيدة للتعليم والتعلم قاصرة على مؤسسة بعينها.وهذا يعني بطبيعة الحال أن المجتمع بكل مؤسساته وأجهزته يصبح مدرسة كبرى يتعلم من خلالها الفرد طيلة حياته. (عبد الله عبد الدايم : ١٩٩٧، ٤٠)

تعليق على المحور الثانى :

لعل الهدف الاسمي للتربية البرجماتية يسير جنبا إلى جنب مع الدعوة إلى طلب العلم من المهد إلى الحد، دلالة على الترابط بين التربيتين الإسلامية والبرجماتية في تناول التعليم المستمر، دلالة واضحة على أن التربية الغربية المتمثلة فى البرجماتية استفادت استفادة كبيرة من التربية الإسلامية وبنت عليها

الكثير من النظريات التربوية .فمساعدة المتعلم علي فهم العالم المعقد في مظاهره الفكرية والمادية من خلال تبسيط العلوم وتطهيرها من الشوائب والمعلومات غير المناسبة لا يتأتى إلا بعدم الاعتماد على التربية النظامية فقط إنما بالأخذ بالتعليم المستمر وتعميمه وإلزام الأفراد به نظرا لشموله ومقدرته على إحداث الانسجام والتوافق والاتزان في شخصية المتعلم مع بيئته، أتساع نطاق التعليم المستمر يعلم الفرد كيف يفكر ويزوده بالخبرات اللازمة والمهارات الملائمة علي حل المشكلات بما يحقق له النفع في حياته مما يساعده على تحقيق التنمية المستدامة .التي تتم عبر تحقيق استمرار النمو العقلي والجسدي والاجتماعي المتكامل للفرد.وإشراك المتعلم في تكوين الأهداف التي توجه نواحي نشاطه في عملية التعلم، فأهداف التربية تنبع من حاجات التلميذ وخبراته ونشاطاته أو على الأقل يشترك في تحديدها في ضوء خبراته السابقة وحاجاته.

المحور الثالث : التنمية المستدامة ودور التعليم المستمر فى تحقيقها.

لو تأملنا معنى التربية الإسلامية نجد أنها تعنى تنمية القدرة على عمل الأشياء التي يستطيع الإنسان عملها ويرغب فى عملها ولقد مدح الله –سبحانه وتعالى – العلم وأهله، وأمر رسوله ﷺ في أول آية أنزلت عليه بالقراءة. والمصطفى ﷺ جعل طلب العلم فريضة، فطلب العلم في حد ذاته عبادة، وهو مهم لأن به يتنور الإنسان ليميز الصواب من الخطأ. لكن الدين الإسلامي جعل العلم وسيلة للعمل، وذم الذين لا يعملون بما يعلمون. فهو بذلك ربط النظري بالتطبيقي، والرواية بالدراية، والقراءة بالتدبر والفهم، والفهم بالعمل، كما جعل العمل غير المبني على العلم الصحيح غير مقبول، فهو بذلك حافظ على العلم، وجعل حياة المرء كلها علم، لأنه قبل أن يقدم على أي عمل لابد أن يعلم حكم الله فيه.

لمحة عن التنمية المستدامة :

لعله من الإنصاف أن نذكر في صدد الحديث عن التنمية المستدامة ماورد، في هذا المجال، كان " جوليوس نيريري " أول رئيس لجمهورية تنزانيا المتحدة هو أول من قال ما لا يخطر على البال : " علينا أولا أن نعلم الكبار، إن أطفالنا لن يكون لهم تأثير على التنمية الاقتصادية خلال خمس أو عشر أو حتى عشرين سنة ومن ناحية أخرى فإن اتجاهات الكبار هي التي لها تأثيرها الآن.

وأكد " جاك ديلور " في تقريره الشهير : " على أن مفهوم التعلم مدى الحياة هو أحد مفاتيح القرن الحادي والعشرين فى مجالات التنمية المستدامة وهو يتجاوز التمييز التقليدي بين التعليم الأولى والتربية المستمرة، ويستجيب للتحدي الذي يطرحه عالم سريع التغيير وأنه ينبغي أن يحتل التعليم مدى الحياة مكانة القلب في المجتمع (اليونسكو، ١٩٩٥)، أما رئيس المؤتمر العالمي الخامس لتعليم الكبار المنعقد في هامبورغ عام ١٩٩٧، فلقد عبر عن أهمية التعليم المستمر بالنسبة للمستقبل بقوله : " التعليم المستمر أعظم استثمار لولوج المستقبل " (UNICCO, 1997, 2).

وقد كان لهذه الأصوات الواعدة ولأفكار " بول كيسمبو " حول التعليم من أجل السلام (كيسمبو، ١٩٩٤، ٢٧٩) ولأفكار " فرانسيسكو فيوجروسي " الناشط التشيلي في كتاباته حول تعليم الكبار والديمقراطية (جروس، ١٩٩٤، ٢٦٤). و" راجيش تاندون " الناشط السياسي الهندي في كتاباته وانتقاداته لبعض المبادرات الدولية التي طرحها البنك الدولي واليونسكو واليونيسيف (تاندون، ١٩٩٣، ٢٠٠). وبطبيعة الحال الكثير غيرهم، أثر واضح في بلورة حركة عالمية لتعليم الكبار تسعى إلى تحقيق التقارب والتفاهم بين الشعوب في إطار التعددية الثقافية واحترام القيم الإنسانية المستحدثة في عالم معولم يتعايش فيه الأفراد كأنهم في قرية إليكترونية صغيرة. (Cropely,A.J&Dave,RH:1977)

ملامح التنمية المستدامة فى التربية البرجماتية:

يعتقد البرجماتيون إن التربية مجهود تطبيقي يسعى إلى ترجمه فلسفه التربية إلى معارف واتجاهات وقيم ومفاهيم ومهارات سلوكية وتحو يل هذه المفاهيم إلى خبره يكتسبها المتعلمون من خلال نشاطهم الفاعل من اجل إسهامهم الجاد في إحداث نقله تنموية حضارية على المستوى الاقتصادي والاجتماعي داخل المؤسسة وفي المجتمع .

أحدثت التربية البرجماتية تنمية مستدامة مهنية وعلمية وتربوية في كثير من الأنظمة التربوية التي أخذت بمبادئ التربية البرجماتية وسارت على نهجها حيث كان للتربية البراجماتيه تأثيرها الواسع على النظم التربوية في العديد من دول العالم وفي مختلف القارات، لان التربية بمفهوم ديوي تربيه اجتماعيه تسعى لتنميه العمل الجمعي التعاوني وهي من أهم الأدوات التي يستخدمها المجتمع للتنمية المستدامة وتطوير الحياة الاجتماعية بمفهومها الشمولي.

فالمدرسة بالمفهوم البرجماتي مكان تسوده الحرية ويعيش فيه المعلم والتعلم والعاملون الآخرون كزملاء متعاونين من أجل إشاعة الديمقراطية من خلال الحوار وتبادل وجهات النظر لأن الحوار هو من أهم مبادئ الديمقراطية التي تساعد على إيجاد بيئة مناسبة للتنمية المستدامة بشتى ألوانها . وهذا المفهوم لا يتحقق إلا إذا استطاعت المدارس إيجاد خبرات حيه قادرة على حفز الخبرات اللاحقة ودفعها إلى التجديد والابتكار والإبداع لتحقيق التنمية المستدامة. (عمر الشيبانى : ١٩٧١، ٣٣٦)

عدت هذه الفلسفة من الفلسفات التقدمية التي تسعى إلى تنمية الفرد تنمية مستدامة وتنمية المجتمع بالمفهوم الشمولي للتنمية المستدامة المتكامل من كل النواحي ولذلك أطلق عليها البعض الأدائية **Instrumentism** لأنها تتعامل مع الفكر والمعرفة والخبرة على أنها أداة لتحقيق أهداف نافعة متعلقة بالتنمية المستدامة، ويفضل جون دوي تسميتها بالفلسفة العملية لتأكيدها على أهمية العمل والنشاط الميداني في اكتساب الخبرة وان لا قيمة لأي معرفة إذا لم تساعد

في حل مشاكلنا الحياتية وتسهم في تطوير مجتمعنا وتقدمه وهذا يتفق مع التربية الإسلامية عندما ربطت بين العلم والعمل في مواطن عديدة سبق توضيحها .

الأيمان بقدره الإنسان على التأثير بمجريات الأحداث وبقدرته على تغير بيئته وتطويرها من خلال العمل الجمعي التعاوني.هذا الموقف يعد نقله للتربية البرجماتية من الفردية إلى الاجتماعية والتي تعد نموذجا للديمقراطية.علما بأن هذه النقلة لم تقلل من دور الفرد وأهميته في الحياة وضرورة احترام الإنسان لذاته باعتباره غاية الغايات. وإن علاقة الفرد بالمجتمع علاقة تتسم بالتوافق والانسجام وليس الاختلاف والتنافر،هذا يساعد بدوره في تحقيق الدور التنموي.

دور التعليم المستمر في تحقيق التنمية المستدامة :

يميل الباحث إلى التركيز على التنمية المهنية المستدامة المتعلقة بالفكر وإعمال العقل من خلال ما جاءت به السنة النبوية في الأحاديث النبوية الشريفة التي ترمى إلى :

١-التعليم المستمر في الإسلام يرمى إلى تنمية معارف البشر وصقل مهاراتهم العقلية ومدركاتهم الكلية بشكل واسع ومطرد:

٢-الأحاديث التي وردت بشأن التعليم المستمر تدعو إلى صفات على الدارس أن يكتسبها مثل التحليل والربط بين الأشياء والاستنباط والتأمل والتخيل هذا يدعو إلى إحداث تنمية مستدامة

٣-تنمية مهارات التفكير التأملي.والتعرف على مهارات الأفراد وقدراتهم وتنميتها ممايزيد من مرونة الحركة الاجتماعية .وهو أيضا القوى الحافزة على الابتكار والمبأدة .

٤-تنمية الذكاء الانسانى وتوجيهه لصالح البشر حسب استعداداته، ولصالح المجتمع ويعمق الاحساس بالحرية والمحافظة عليها والنضال من أجلها .

٥-ربط العلم بالعمل ذلك الربط الذي يكسب التعليم المستمر صفة الدوام والاستمرار ويسهم في تأسيس مبدأ تربوي مهم في التربية الإسلامية ألا وهو التربية المستمرة .(على خليل أبو العينين : ١٩٨٧،٢٧)

وقد تتطور فكرة المجتمع من مجتمع بذاته إلى تجمعات ثقافية واقتصادية ومعلوماتية وفقا لمنظور العولمة التي تعد من أبرز سمات هذا العصر، فنرى التكتلات الاقتصادية والثقافية والسياسية وغيرها، والتي تكون تجمعات تستدعي عدم الثبات نظراً للتجدد المستمر والمتسارع والذي يحتاج إلى مواكبة تحمي هذه التجمعات وتقويها وتجنبها الفجوات التي قد تحدق بها نتيجة التأخير في عملية التجديد.

كل ذلك يستدعي تربية وتعليما مستمرا يساعد على إبراز أهمية الدور التنموي الذي يلعبه هذا التعليم،مما ذكرنا سابقا يتبين لنا أن التعليم المستمر يقوم على فلسفة أن التربية تستمر باستمرار الحياة، وذلك لتطوير الذات الفردية والتي من خلالها يتوصل إلى تطوير المجتمع، وكأن ذلك متابعة لكل جديد كل في مجاله إذ أن فلسفة التعليم المستمر المتظللة بظلال التربية الإسلامية تتيح للفرد حريته في التربية وتطلق لقدراته الخاصة ومواهبه العنان في الوصول إلى أقصى ما يستطيع، وتجديد خبراته ومعارفه باستمرار لا يتوقف إلا بتوقف الحياة، ومن هنا فإن كلاً مناطٌ به تطوير ذاته من خلال التعليم المستمر والتثقيف الذاتي سواءً كان ذلك فردياً أو ضمن مؤسسات اجتماعية معدة لهذا الغرض وكل هذا في النهاية يولد لنا مجتمعاً متناسقاً مع عصره، و مواكباً له .

من هنا ينبغى الاهتمام بضرورة الربط بين التّربية والحياة، وهذا يعني أن المراحل التعليمية التقليدية ما هي إلا منظومة جزئية من المنظومات الكبرى التي يتعلم من خلالها الفرد طيلة حياته، وينبغي بالتالي ألا تعدّ المنظومة الوحيدة للتعليم والتعلم ". وهذا يعني بطبيعة الحال أن المجتمع بكل مؤسساته وأجهزته

يصبح مدرسة كبرى يتعلم من خلالها الفرد طيلة حياته ويسخر العلم في إحداث تنمية مستدامة على كافة الأصعدة

العلاقة بين التعليم المستمر في التربية الإسلامية وتحقيق التنمية المستدامة:

يرى على خليل أبو العينين أن العلاقة بين التعليم المستمر والتنمية المستدامة علاقة وطيدة لوجود رابط مشترك بينهما ألا وهو الإنسان والذي يعد هدفا ووسيلة لإحداث أي تنمية مستدامة سعيا لتحقيق أهداف المجتمع، فاهتمام التربية الإسلامية في حد ذاته بالتعليم المستمر والحرص علية وإعلاء قيمته يعد مدخلا للاهتمام باى نوع من أنواع التنمية المستدامة، فقد أعلت التربية الإسلامية من الاهتمام بتنمية قيم العمل والإنتاج، والاندماج في الواقع، واستقلالية الفكر، وموضوعية السلوك ونبذ الاتكالية من نفوس الأفراد مع الاهتمام بتفجير الطاقات الإبداعية. (عبد العزيز جلال : ١٩٨٥، ٢١-٢٢)، ويضيف: لكي ندرك العلاقة بين الموضوعين ينبغي أن نوضح أمرين:

الأول: وجود علاقة وثيقة ومتبادلة بين التربية والمجتمع، فهي تنفعل بما فيه، وتقوم على نظامه وأنساقه، لتعبر عن خصائصه وثقافته وأهدافه وتعمل على تحقيقها، وتعكس أطره الفكرية والحضارية والاقتصادية والسياسية، تحافظ عليها وتعمل على تجديدها .

الثاني: إن عملية التنمية في المجتمعات العربية الإسلامية، تعنى حركة إحياء حضاري شاملة، وأكبر معين لها في هذا المجال التربية الإسلامية، لتنشئة الإنسان المسلم،القادر على تحمل المسئولية والتي يمكن أن يسهم فيها بإخلاص

فالعلاقة بين التربية الإسلامية والتنمية قائمة ومستمرة لأنهما يسعيان إلى بناء الإنسان والمجتمع، ولإحداث التقدم المنشود من اجل تحقيق غايات الإنسان المسلم واستثارة إمكانياته الذاتية، ولتحقيق إنسانيته، وتحقيق الوعي الحضاري لديه.

أيقنت التربية الإسلامية أن التعليم النظامي وحده لايستطيع أن يعد أفرادا جيدين لإحداث تنمية مستدامة للوطن، فسعت سعيا حثيثا إلى تفعيل التعليم المستمر عبر التاريخ الإسلامي لسد العجز في المساهمة في إحداث تنمية مستدامة في شتى المناحي ومما أحدثته إيجاد قاعدة متعلمة في المجتمع تستطيع الاستجابة لتحدى التنمية، وتوجه الجهد الواعي لها، بضمان حد ادني لكل إنسان من التعليم يتمكن به من العيش والاستجابة لعالم يتسم بالعلم والمعرفة، ويستطيع أن يتعامل مع واقعة بوعي ويتكيف بذكاء وتعقل مع الأوضاع الجديدة على ضوء قيمه وعقائده، ويملك القدرة على إحداث تنمية مستدامة في كافة الأصعدة . وعن طريق إعداد وتأهيل القوى البشرية وتسلحها بالتعليم المستمر الذي يساعد على إبراز جهود التنمية بالدرجة الأولى. (رفعت عمر عزوز : ١٩٩٢، ٢١١)

تهتم التربية الإسلامية بشكل عام بإعداد المناخ الاجتماعي المهيأ لقيام تنمية سليمة، وتهيئة المناخ اللازم للإنتاج والتنظيم، بحيث يقوم به أفراد يستطيعون تحمل المسئولية في التجديد والابتكار، واستيعاب المتغيرات، ولكي يتم هذا لا بد لها من توفير أفراد مؤمنين يتهيأ المناخ بهم، ويقوم علي أساس القيم الإسلامية .

تهتم التربية الإسلامية بعملية تجديد الفكر، وتغيير ما يحتاج منه لتغيير بطريقة متوازنة وهي تقوم أو ينبغي لها أن تقوم بهذه العملية، لتوفير قواعد التغيير، وتحفظ التوازن بتوفير المنطق العلمي لدي الأفراد، وتوجيه وترشيد الطاقات والقوي نحو الغايات الإسلامية ومن ثم يكون تأثيرها وتكيلها الايجابي لمعطيات التعليم القائدة والمساهمة في انجاز أهداف التنمية .

أما عن علاقة التنمية بالتربية، فتتضح إذا علمنا أن التربية في حاجة إلي إمكانيات لتقوم بوظيفتها، والتنمية تلبي هذه الحاجات والإمكانيات وما تحمله من تضمينات أخري، بمعني تهيئة المناخ الاجتماعي والاقتصادي والفكري والسياسي لتمكن التربية الإسلامية من أداء دورها، لتطوير نفسها في ضوء احتياجات الواقع

المعاش محليا و عالميا، ودور التربية لا يتحقق بطريقة فعالة إلا بقدر ما يتحقق من تنمية متوازنة، إلي جانب أن مجالات التنمية هي السوق الذي يستوعب معطيات النظام التربوي .

إن التربية الإسلامية والتنمية المستدامة يعملان علي تحقيق التحرر، للمجتمع والإنسان، من كافة ألوان التبعية، ويساعدان علي التصدي الفعال لعوامل الدونية المرتبطة بالذات والتخلص من آثارهما السلبية الهادمة المعوقة لحدوث تنمية وإحياء حضاري .

تحرير الأفراد المسلمين من نزعة (التعصب) المذهبي، لما له من أثر سلبي علي جهود التنمية، وحتى يعاود العقل الإسلامي نشاطه في الاجتهاد والإبداع والابتكار والإضافة الحضارية الحقيقية.(عيسى عبده : ١٩٨٣ ،٨٩-٩٣)

والإسلام يحتوي علي تعليمات أخلاقية، وبناء أخلاقي متكامل، يمتاز بالحيوية القائمة علي التفاعل بين الإنسان وبين تلك القواعد الأخلاقية الإسلامية، تظهر فعاليتها في مجال التنمية الإسلامية في تحقيق الأهداف، وفي حماية منجزات المجتمع الإسلامي، وحماية الفرد في المجتمع الإسلامي من الانهيار والانحلال والتسيب، فهي ضابط للتجهد التنموي المبذول، تضبط إيقاعه، وتحوله إلي فعالية حقيقية وواقع يحقق للناس سعادة الدنيا والآخرة .

وتتأتي اهتمامات وأدوار التربية الإسلامية فيما يلي: (يعقوب فام :١٩٨٥ : ١٣٧)

١. العناية بتكوين المهاد الأخلاقي للتنمية الإسلامية، علي مستوي الفرد والجماعة، متمثلا ذلك في القيم الإنتاجية، والتخطيطية، باعتبارها أساسا لنجاح التنمية، وفي نفس الوقت ضرورية للإنسان والمجتمع المعاصر .

٢. العناية بتحديد الأهداف الخلقية للتربية علي أساس مبدأ التدرج التكليفي الذي تمتاز به القيم الإسلامية، وفي ضوء متطلبات النمو الإنساني، حتي لا تصبح جهداً ضائعاً.

٣. الاهتمام بالعمل والتطبيق العملي للعلم، مع التركيز علي أهمية تمثيل الخصائص الإنسانية في هذا التطبيق، وإعطاء العلاقات الإنسانية أهميتها باعتبارها قواعد موضوعية للسلوك العلمي واستخدام الوسائل والأشياء، فالسابق العلمي والمادي لاتقاس صحته إلا بمقدار ما يعبر عن الأهداف الإنسانية .

٤. التدريب علي الانفتاح الفكري الناقد علي خبرات العالم، والانجازات البشرية، وتقبل الحق منها، ليعمل علي الاستفادة منها في النهوض بواقعه، وإذكاء جهود التنمية المستدامة.

٥. تحريك فعاليات المسلم نحو المثل الأعلى في ظل العملية التكنولوجية المعاصرة، وهو جانب معنوي، لان أي جهد تنموي لا بد أن يكون شاملا للجوانب المادية والمعنوية، ومهما تقدمت الجوانب المعنوية لن يتم هذا إلا في ظل الاهتمام بالتعليم المستمر.

العلاقة بين التعليم المستمر في البرجماتية و تحقيق التنمية المستدامة

على الرغم من تأكيد جون ديوى على إن الهدف الأعلى من التربية تحقيق استمرارية التربية بأن تساعد الفرد على أن يستمر في تربيته مما يؤدى إلى نموه وتعلمه وتكيفه مع بيئته، إلا أنه دعا العاملين في هذا الحقل إلى تحقيق الأهداف التالية لتنمية المتعلم تنمية مستدامة. (عبد الله عبد الدائم : ١٩٩٣، ٨١)

- مساعدة المتعلم على بناء شخصيه تكاملية.
- مساعدته على التعبير عن قدراته واستعداداته الذاتية .
- مساعدته على التفاعل مع محيطه بمفهومه الشمولي .
- مساعدته على مواجهة مشكلاته الحياتية وإيجاد الحلول المناسبة لها.

- إعداده لحياة مقبله من خلال تمكينه من قيادة نفسه واستخدام إمكانياته الذاتية الاستخدام الأمثل ويعتقد دوي إن لا تناقض بين الحياة الحاضرة والمقبلة.وذلك لان الفعالية التي لا تستحق الممارسة لذاتها ليست مجدية في الإعداد لأي شيء أخر.
- العمل على تحسين المجتمع وتطويره وتنميته تنمية مستدامة فى شتى نواحيها .
- من الملاحظ استمرارية التربية بالنسبة للمتعلم تساعده على تحقيق التنمية المستدامة في شتى المجالات المهنية،سعيا إلى الشخصية المتكاملة وتعزيز قدرات الفرد على العمل والإنتاج بتفاعل بينه وبين مجتمعه الذي يعيش فيه مع مراعاة مواجهة مشكلاته الحياتية.

إن التعليم المستمر وحده كفيلا بتحقيق التنمية المستدامة بكافة أشكالها بخلق مجتمعات تتحرك وفق هذه المعطيات والتصّورات، وبدون الأخذ بها ستظلّ التّربية في حالة ركود،مقتصرة عن الأخذ والعطاء مع متطلّبات التغيير والتحديث وروح العصر وجوهره. ومهما يكن من أمر، فإن مفهوم التعليم المستمر الذي نتحدّث عنه، يرتجى منه إحداث تطلعات نوعية لتطوير التّربية وتجويدها،ونتمنى أن يحظى بكثير من العناية في المرحلة القادمة، إذ أن نصيبه لا يتجاوز الإشارات العابرة هنا وهناك دون التوقف المتعمق الجاد لبحث فلسفته المتعددة، وعلى ذلك اتصف المفهوم وعدم الوضوح، مما أدى إلى الخلط الكبير بين هذا المفهوم ذي الرؤية الموسعة، والمفاهيم الأخرى التي يشكّل البعض فيها جزءا محدودا من منظومته مثل مفاهيم تعليم الكبار، ومحو الأمّية، والتعليم الموازي، والتعليم عن بعد، والتعليم المتجدد وغيرها كثير. ولهذا السبب ظل التعليم المستمر في كثير من المجتمعات مجرد اجتهادات، دون أن ينظر إليه على المستوى الفكري والتشريعي على أنه منظومة مكملة لأي منظومة تعليمية أخرى

تضبط العمل والتحرك التربوي ويخطط لها تخطيطا عقلانيا كجزء لا يتجزّأ من المنظومة التنمّوية. (محمود قمبر : ١٩٩٦، ٨٣)

لعلنا قد أدركنا مما سبق العلاقة بين البرجماتية والتعليم المستمر، من حيث أن الأصول الفلسفية لهذا التعليم، تتحدد من خلال الفلسفة البرجماتية التي تقوم على التغيير المستمر وأنه لا يوجد حقيقة مطلقة بل تتجدد هذه الحقائق وفقا للعوامل المحيطة من زمان ومكان ومؤثرات، وحيث أن هذه الفلسفة تنظر للتربية بأنها هي الحياة فكأنها تقول أن الحياة كلها تربية أي تعليم مستمر حتى النهاية التي تتحدد بنهاية الحياة .

ولعل هذه الفلسفة تبرز أهمية التعليم المستمر في مواجهة التغير المستمر، وكل ذلك يصب في خدمة المجتمع الذي يصب ثقته في المتعلم بإعطائه كامل الحرية لإيمانه بضرورة أن النظام يجب أن ينبع من التلميذ نفسه، ومن شعوره بالمسؤولية الملقاة عليه .

كل ذلك يستدعي تربية وتعليما مستمرا لأن عجلة التنمية تسير بسرعة لا مثيل لها . مما ذكرنا سابقا يتبين لنا أن التعليم المستمر يقوم على فلسفة أن التربية تستمر باستمرار الحياة، وذلك لتطوير الذات الفردية والتي من خلالها يتوصل إلى تطوير المجتمع، وكأن ذلك متابعة لكل جديد كل في مجاله إذ أن فلسفة التعليم المستمر المتظللة بظلال الفلسفة البرجماتية تتيح للفرد حريته في التربية وتطلق لقدراته الخاصة ومواهبة العنان في الوصول إلى أقصى ما يستطيع، وتجديد خبراته ومعارفه باستمرار لا يتوقف إلا بتوقف الحياة، ومن هنا فإن كلاً مناطٌ به تطوير ذاته من خلال التعليم المستمر والتثقيف الذاتي سواءً كان ذلك فردياً أو ضمن مؤسسات اجتماعية معدة لهذا الغرض وكل هذا في النهاية يولد لنا مجتمعاً متناسقاً مع عصره، و مواكباً له .

لذا فقد أصبح التعليم المستمر ضرورة فرضها الزمن منذ القدم، تطورت بتقدمه وتزايدت بتزايد حاجات المجتمع، وفتحت ميادين تسابق مضنية تحتاج إلى

لياقة تجددية مستمرة، واستراتيجيات موافقة لمتطلبات المرحلة، من تطوير للذات واكتساب للمعارف الجديدة، وتوظيفها في مهارات تخدم المجتمع خدمة تنطلق من الفرد وتعود إلى الفرد.

تعليق على المحور الثالث :

أيقنت التربية الإسلامية أن التعليم النظامي وحده لايستطيع أن يعد أفرادا جيدين لإحداث تنمية مستدامة للوطن، فسعت سعيا حثيثا إلى تفعيل التعليم المستمر عبر التاريخ الإسلامي لسد العجز في المساهمة في إحداث تنمية مستدامة في شتى المناحي ومما أحدثته إيجاد قاعدة متعلمة في المجتمع تستطيع الاستجابة لتحدى التنمية، وتوجه الجهد الواعي لها، بضمان حد ادني لكل إنسان من التعليم يتمكن به من العيش والاستجابة لعالم يتسم بالعلم والمعرفة، ويستطيع أن يتعامل مع واقعة بوعي ويتكيف بذكاء وتعقل مع الأوضاع الجديدة على ضوء قيمه وعقائده، ويملك القدرة على إحداث تنمية مستدامة في كافة الأصعدة .

ولعل التربية البرجماتية اتفقت مع هذه الفلسفة فقد أبرزت أهمية التعليم المستمر في مواجهة التغير المستمر، وكل ذلك يصب في خدمة المجتمع الذي يصب ثقته في المتعلم بإعطائه كامل الحرية لإيمانه بضرورة أن النظام يجب أن ينبع من التلميذ نفسه، ومن شعوره بالمسؤولية الملقاة عليه ، وكل ذلك يستدعي تربية وتعليما مستمرين لأن عجلة التنمية تسير بسرعة لا مثيل لها.

مما ذكرنا سابقا يتبين لنا أن التعليم المستمر يقوم على فلسفة أن التربية تستمر باستمرار الحياة، وذلك لتطوير الذات الفردية والتي من خلالها يتوصل إلى تطوير المجتمع، وكأن ذلك متابعة لكل جديد كل في مجاله إذ أن فلسفة التعليم المستمر المتظللة بظلال الفلسفة البرجماتية تتيح للفرد حريته في التربية وتطلق لقدراته الخاصة ومواهبة العنان في الوصول إلى أقصى ما يستطيع، وتجديد خبراته ومعارفه باستمرار لا يتوقف إلا بتوقف الحياة، ومن هنا فإن كلاً مناطٌ به

تطوير ذاته من خلال التعليم المستمر والتثقيف الذاتي سواءً كان ذلك فردياً أو ضمن مؤسسات اجتماعية معدة لهذا الغرض وكل هذا في النهاية يولد لنا مجتمعاً متناسقاً مع عصره، و مواكباً له .

النتائج والتوصيات.

توصل الباحث إلى النتائج التالية :

- التعليم المستمر النظرة إليه أقل من التعليم النظامي، غفل الكثيرون أنه يلعب دورا هاما فى تشكيل المجتمع ولاسيما من ناحية التنمية المستدامة
- المطالبة بفرص التعليم المستمر تتزايد يوما بعد يوم لسرعة العصر فى النواحي التكنولوجية .
- لكي يصبح مفهوم التعليم المستمر واقعيا لابد من احتضان الجامعات إلى برامج التعليم المستمر إعدادا وتصميما وتنفيذا وتقويما .
- الاستغلال الأمثل لبرامج التعليم المستمر ضعيف، لم تساهم البرامج فى التنمية الاقتصادية والاجتماعية إلى جانب عدم المساهمة فى تنمية المهارات الوظيفية للفرد لتحسين مستوى المعيشة.
- القصور الشديد فى الوصول إلى تصنيف للمفهوم والخلط الشديد بين المترادفات .
- التعليم المستمر يستطيع مخاطبة مشكلات المجتمع من خلال برامج الخدمة العامة التى يقدمها .
- يعد التعليم المستمر مطلبا من مطالب التنمية وظاهرة التعليم المستمر صحبت حياة الإنسان على سطح الأرض منذ بدايتها، إذ أنه دوماً يعمل على تطوير حياته بتعلُّمه من خبراته الخاصة وخبرات الآخرين من حوله، فهو في حالة تربية مستمرة من الحياة وللحياة،ومع ذلك الاهتمام الاجرائى به قليل .

- إن مفهوم التعليم المستمر ليس مفهوما جديدا ساقته لنا التربية الحديثة بل هو مفهوم قديم قدم الحضارات، كما أنه أمر ملازم للديانات السماوية، إذ نادت بالتعليم المستمر ضمانا لانتشاره بين الأجيال المتعاقبة .
- إن التربية الإسلامية بشرت بتربية تمتد من المهد إلى اللحد، فلا حدود عمرية على طلب العلم .
- إن التربية الإسلامية حرصت على توفير دافع الاستمرار في التعليم المستمر والحاجة إلية ليغطى حياة الفرد من جميع جوانبها .
- توجد علاقة وثيقة بين مادعت إليه التربيتان فيما يتعلق بالتعليم المستمر فى أغلب المكونات .
- ما ورد في الثقافة الإسلامية من حث على التعليم المستمر لم يرد على سبيل الإشارة العابرة بل امتداد وإثراء للفكرة ذاتها.
- وتزداد أهمية التعليم المستمر والاستمرار في طلبه مع تعقد نظم الحياة والعمل، حيث تعقدت نظم العمل وأصبحت أكثر عرضة للتغير المستمر، كما أن العديد من الوظائف تدخل عليها تعديلات كبيرة مع تقدم العلم ونمو المعرفة وتطور التكنولوجيا،والكثير من الوظائف تُزاح من سوق العمل والكثير من الوظائف الجديدة تأخذ مكانها بقوة في مواقع الإنتاج.
- التعليم المستمر ضرورة من ضرورات العصر، وهو أحد الوسائل الفعالة لتحقيق التكامل بين الوظيفة المتغيرة للمدرسة والمؤسسات التربوية الأخرى،وبين موقف الأفراد والهيئات ممن تشغلهم أمور التربية، والبيت بطبيعته مقدمة هذه الهيئات المهتمة بالعملية التعليمية التربوية ومن هنا ينبغي تحقيق التكامل بينه وبين المدرسة من أجل خلق إطار فكرى متوازن يعين على مواجهة كل منها لحقيقة التغيير ومقتضياته ومطالبة .

- دللت الدراسات الحديثة متضامنة مع الدراسات القديمة على ضرورة استمرار فرصة التربية مدى الحياة حيث أن التعليم المستمر من أسس التربية الإسلامية التى أخذت بها فلسفة التربية الإسلامية .
- ومن ثم إذا كان تفقه العامل في الإسلام واجباً وفرض عين،فإن التفقه في مجال عمله واجب أيضاً وفرض عين وهذا يقتضي من العامل متابعة كل جديد في نطاق عمله وصولاً إلى الإتقان والإبداع وذلك عن طريق التدريب والاستزادة من العلم وهذا في حد ذاته تنمية مستدامة .
- إن التعليم المستمر عن طريق العمل والممارسة مطلب حيوي للبشرية جمعاء.ومن هنا يتأتى ضرورة الربط بين العلوم التي يدرسها الإنسان وبين العمل الذي يحقق التنمية المستدامة.
- إن العلم في الإسلام دليل العمل، فالعلم شرط ضروري للعمل لكي يصح ويستقيم على أمر الله، سواء كان هذا العمل عبادة لله أم معاملة للناس.
- ولقد قدم القرآن الكريم نموذجاً فريداً للتدريب على أداء العمل، لما أراد الله تعالى أن يرسل موسى إلى فرعون وقومه يدعوهم إلى عبادة الله، قدم له برنامجا تدريبيا لصقل قدراته الذهنية ومهاراته الحركية التي تجعله أكثر قدرة على منازلة فرعون وسحرته وعلى تقديم الحجج الدامغة التي تبطل سحرهم وتُظهر سوء زعمهم، ودّربه على استخدام عصاه لهذا الغرض.
- إن التعليم والتدريب المستمر في الإسلام يبقيان ما بقيت حياة الإنسان، ويتسعان ليضما كل منهما ما يتعلق بحياة المسلم في الأسرة والمجتمع ومكان العمل وكل ما يتعلق بالعبادات، لأن المسلم حرى به أن يأتي بأعماله وكل أحواله على وجهها الصحيح وعلمها الراجح، لأنه لا يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون .
- إن الاستمرار في طلب العلم والمثابرة عليه وقضاء العمر فيه يكسب طالب العلم المتصف بهذه الصفة منزلة الشهيد، ويؤكد ذلك بأثر عن بعض

الصحابة(ﷺ) قولهم: إذا جاء الموت طالب العلم وهو على هذه الحال مات وهو شهيد.

- التعليم النظامي وبعد تجربة طويلة عجز عن استيعاب جميع فئات المجتمع، وعن ملاحقة جميع التغيُّرات الثقافية والاجتماعية والعلمية، ذلك لأنه ركَّز على المعرفة دون اتصالها بالحياة وتطبيقاتها وآثارها على الإنسان وسلوكه، بمعنى آخر عجز التعليم النظامي عن تحقيق الأهداف المرجوة منه .
- لقد انتهى الوقت الذي كان فيه التعليم المدرسي كافيا وملبيا لكل احتياجات الفرد والمجتمع، وآن الأوان لإجراء تغييرات في سياساتنا التعليمية لإحداث التكامل والتنسيق بين المؤسسات النظامية وغير النظامية من اتحادات نسائية، ونقابات عمالية، واتحادات مزارعين، وجمعيات معلمين، وغرف تجارية، ومراكز لخدمة المجتمع وغيرها
- الاستزادة من التعليم والثقافة مدى الحياة، فيمكن من زيادة كفاية الفرد وتأدية واجباته الاجتماعية والمهنية، وبالتالي يشارك في زيادة الإنتاج وتقدم المجتمع في مختلف المجالات .
- تطور مفهوم التعليم المستمر، وكثرة الاهتمام به جعل التربويين يتوقعون أن يكون لهذا النوع من التعليم السيادة في رسم السياسات التعليمية لكثير من الدول المتقدمة والنامية .
- تفاعل الكثير من الجامعات مع مبدأ التعليم المستمر ،عندما أعلت الجانب الخدمي للجامعة بفتح العديد من المراكز التي تعمل على تحقيق التعليم المستمر
- رسوخ مفهوم التعليم المستمر في التربية الإسلامية سواء في القران الكريم أو في السنة النبوية . استمر التعليم المستمر معمولاً به طوال العهود الأولى، عهد الرسول ﷺ وصحابته والخلفاء الراشدين وعهد التابعين .

- تعلم لتكون – نعلم الفرد كيف يتعلم . مفاهيم وردت في كتابات إسلامية، قبل أن تكون من شعارات التربية الحديثة .
- التعليم المستمر وجد ممارسة وتطبيقاً عملياً صارماً عند المسلمين لتوفر الدافع الإيماني الذي يدفعهم إليه، وهو الدافع الإيماني نفسه الذي مكّنهم من بناء تلك الدولة المترامية الأطراف .
- ومن الشواهد على رسوخ مبدأ التعليم المستمر في التربية الإسلامية أنَّ المسلمين أقبلوا على شراء الكتب واقتنائها طالما أصبح ذلك ممكناً بعد انتشار المكتبات العامة والخاصة في كل البلاد الإسلامية. ومن الشواهد الدالَّة على رسوخ مبدأ التعليم المستمر أنَّ جميع مؤسسات المجتمع تقوم مقام المدرسة وتمارس أدواراً تعليمية مثل الرباطات، البيمارستنات ،قصور الخلفاء .
- إن نموذج التعليم المستمر كإطار عام مرن يستدعي قيما إنسانية وتربوية تكاد تكون عالمية ويمكن أن توظّف توظيفا حيويا لتجويد الأنظمة التربوية العربّية وترقيتها لتواكب معطيات التجربة الإنسانية .
- يجب أن تتاح الفرصة للإنسان ليتلقى التعليم المستمر ويكتسب المعرفة بوسائل متعددة،لان المهم ليس الطريق الذي يسلكه طالب العلم، بل المهم ما يتعلمه وما يكتسبه
- إن التعليم المستمر وحده كفيلا بتحقيق التنمية المستدامة بكافة أشكالها بخلق مجتمعات تتحرك وفق هذه المعطيات والتصّورات .
- إن هذا التعليم المستمر الذي بدأ يأخذ أهّمية متزايدة خلال العقود القليلة الماضية، من المتوقع أن تزداد أهميته في ظلّ التطّورات التكنولوجية المتسارعة، والتي تؤدي إلى تغييرات مستمّرة في بيئة العمل ومتطلّباته وطرق أدائه. ويعمل هذا التعليم على توفير فرص التعليم لهؤلاء الذين لم يحصلوا عليها من قبل، أو الذين التحقوا بوظائف لا تتّفق مع رغباتهم وتخصصاتهم،

أو من تدهورت مهاراتهم بسبب التغيرات التكنولوجية ويكونون بحاجة إلى إعادة التعليم أو التدريب .

- أن التّربية المستمرّة كمطلب تنمّوي منشود، لا يمكن أن يتحقّق في ظلّ تربية كلاسيكية تنظر إلى التّربية على أنها حكر على المراحل الأولى من التنشئة الإنسانية، وتنتهي بمجرد انتهاء المتعلم من دراسته التكوينية الأولى، أيا كانت ابتدائية أو ثانوية أو جامعية. فحجم التغيير المعرفي والتعقد التكنولوجي، جعلت المعارف تتزايد بمتواليات هندسية لا تمكّن التنشئة التربوية والتعليمية الأولى للفرد، مهما كانت جودتها، أن تحصّن الفرد أو تكفيه للعيش بها مدى الحياة، إذ لابد له أن يواصل تعليمه بشكل مستمر ومتواصل مدى الحياة إن أراد أن يطّور ذاته ويواكب التغييرات .
- إن الهدف النهائي للتعليم المستمر هو تحسين نوعية حياة كل فرد. ولتحقيق هذا الهدف، فإن عليه أن يساعد الناس على التكّيف للتغّير، وأن يطلق العنان لقدراتهم الإبداعية والخلاقة، وبالنتيجة فإنها تهدف إلى خلق مجتمع مبدع وخلاق من خلال إيجاد الثقة الذاتية اللازمة عند أفراد ذلك المجتمع. وهذا يتطلّب أفرادا قادرين على مواجهة الضغوط السياسية والاجتماعية للعصر، وقادرين على التعبير عن مشاعرهم ويستطيعون تحقيق ذواتهم من خلال التعاون مع الأفراد الآخرين.
- على الرغم من حداثة مصطلح (التنمية المستدامة) فإن مفهومه ليس بجديد على الإسلام والمسلمين. فقد حفل القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة بالعديد من النصوص التي تمثل الركائز الأساسية للتنمية المستدامة.
- إن ما توصل إلية الغرب في مجال التعليم المستمر من أفكار وتنظيمات وما أخذ من ترتيبات وإجراءات، وما شيده لذلك من مؤسسات، إنما أتى ذلك كله

فى إطار من فكره وفلسفته التي وصلت إلى ما هى عليه حاليا عبر صراعات فكرية، واجتماعية .

- إن النماذج التي توصل إليها الغرب في مجال التعليم المستمر، هي بالطبع نماذج فكرية متقدمة لأنها نماذج وتطبيقات مضاف إليها انجازات العصر واكتشافاته،وتقنياته،ومخترعاته،.
- إذا كان الفكر الغربي بدأ ينفتح بالعملية التربوية على المؤسسات غير المدرسية، وخاصة في مجال التعليم المستمر فهذا هو عين الاتجاه الذي ساد لفترة طويلة من الزمان في الحضارة الإسلامية، حيث المجتمع كان كله مدرسه .
- الاستمرار في طلب العلم يمثل نمطا من أنماط الحياة، ويدع الفرد دوما إلى العمل والتنمية المستدامة . وإدراكا من التربية البرجماتية لأهمية التعليم المستمر، صاغت الدول الغربية من القوانين ما يشجع العامل، وصاحب المهنة، على طلب التعليم المستمر .
- أفضل ربط بين التعليم المستمر والتنمية المستدامة، من يركب موجة التعليم المستمر تنتظره الأجور الأفضل، والامتيازات الأخرى، العمل، السكن، والحراك الوظيفي .
- الدراسات المسحية تؤكد أن رواد التعليم المستمر من الأغنياء دون الفقراء، ومن المهنيين دون الحرفيين .
- هذه التّربية المستمّرة المقصودة تمثّل عملية تتكامل فيها التّربية النظامية وغير النظامية واللانظامية تكاملا عموديا وأفقيا. " وينطوي هذا المفهوم على ضرورة الاعتراف بأن التّربية عملية مستمّرة تحّث طيلة حياة الفرد، وهي جزء لا يتجزّأ من طبيعته البشرية.
- يرتبط بهذا المفهوم ضرورة الربط بين التّربية والحياة، وهذا يعني أن المراحل التعليمية التقليدية ما هي إلا منظومة جزئية من المنظومات الكبرى التي

يتعلم من خلالها الفرد طيلة حياته، وينبغي بالتالي ألا تعدّ المنظومة الوحيدة للتعليم والتعلم.

- وهذا يعني بطبيعة الحال أن المجتمع بكل مؤسساته وأجهزته يصبح مدرسة كبرى يتعلم من خلالها الفرد طيلة حياته .
- التعليم المستمر، مطلب تتزايد الحاجة إليه يوما بعد آخر لمواجهة التحدّيات الكبرى التي تواجه الاقتصاد والعمل والتقانة والمعلومات والمحافظة على الذات والهوية. هذه الطبيعة الحضارية للتعليم المستمر ليست إجراء فنيا تتخذه الأنظمة التربوية بقدر ما هي فلسفة ورؤية تتبنّى بإرادة سياسية واعية وواعدة، وتترجم موجّهاتها ومنطلقاتها إلى برامج وأنشطة وفعاليات تمكّن من خلق المجتمع المتعلم الذي يتعلم فيه الأفراد طيلة حياتهم دون قيد أو شرط من المهد إلى اللحد. وفي ضوء هذا التوجّه، يتحوّل التعلم والتعليم إلى حق طبيعي للأفراد، وقيمة أصيلة في المجتمع، وشرطا أسا سيا للنمّو والتطّور.
- يجب أن تتاح الفرصة للإنسان في التربية البرجماتية ليتلقى التربية ويكتسب المعرفة بوسائل متعددة،لأن المهم ليس الطريق الذي يسلكه طالب العلم، بل المهم مايتعلمه ومايكتسبه،وعلى هذا ينبغي أن يتمكن الطالب من اختيار الطريق المؤدى إلى العلم والمعرفة بكامل الحرية .
- وفي إطار مفاهيم التعليم المستمر، ينبغي إعادة النظر في دور المعلم في العملية التعليمية، ليصبح منسقا وموجّها ومرشدا ومساعدا على التعليم، أكثر من كونه ملقنا للمعرفة ومسئولا عن تقويم أداء الطلبة. وينبغي أن تسعى كليات التّربية لتأصيل هذا المفهوم لدى الطلبة الذين يعدّون لتولّي مسؤولية التدريس.
- هذا التعليم المستمر هو التغيير الاجتماعي، إذ أن الإنسان لا يمكنه الانفصال عن مجتمعه، كما أن النمو الفردي هدف لخدمة المجتمع . ولعله من الجدير

بنا هنا الإشارة إلى الفلسفة البرجماتية كونها الفلسفة التي تحدد معالم هذا النوع من التعليم .

- ولعل هذه الفلسفة تبرز أهمية التعليم المستمر في مواجهة التغير المستمر، وكل ذلك يصب في خدمة المجتمع الذي يصب ثقته في المتعلم بإعطائه كامل الحرية لإيمانه بضرورة أن النظام يجب أن ينبع من التلميذ نفسه، ومن شعوره بالمسؤولية الملقاة عليه.
- التنمية المستدامة كمفهوم حركي ديناميكي دائم التغير، تهدف بالأساس إلى تحسين نوعية الحياة بما في ذلك الأجيال القادمة، من خلال تحقيق التنمية الاقتصادية، وتحسين الظروف الاجتماعية والمحافظة على البيئة .
- وارتباط التربية البرجماتية بالتنمية المستدامة ينطلق من ذلك الدور المحوري والفاعل الذي تلعبه التربية في إحداث التغيرات الهادفة إلى تحقيق هذه الأهداف.
- إن التربية، بجميع أشكالها ومستوياتها لا تمثل نهاية في حد ذاتها، بل هي أقوى الأدوات الفاعلة التي بحوزتنا لإحداث التغيرات المطلوبة لتحقيق التنمية المستدامة.
- من هذا المنطلق يأتي التأكيد على أهمية الدور الذي تلعبه التربية في تحقيق التنمية المستدامة، وكذلك على أهمية الارتباط بين هذين المجالين لدرجة أصبح مفهوم التربية من أجل التنمية المستدامة ليس خياراً بل أولوية .ومن هنا جاء اعتماد الأمم المتحدة للعقد العالمي للتربية من أجل التنمية المستدامة.
- الدراسات الحديثة أكدت على :قوة العلاقة بين التنمية والمعرفة، وإن نجاح عمليات التنمية مرتبطة بقدرة الدول على بناء مجتمع المعرفة والذي يمثل التعليم الركائز الأساسية لبناء هذا المجتمع.

التوصيات:

يوصى الباحث :

- بدراسة دور العبادة في نشر التعليم المستمر في ظل تنامي المعرفة والتقنيات الحديثة .
- دراسة تحليلية للتعليم المستمر من واقع السنة النبوية .
- معايير جودة التعليم المستمر، المؤسسات، المعلم، المخرجات .
- بضرورة وضع منهج يفرض على المتعلم أن يعلم الأقل إدراكا وتعلما أو محو أمية الجاهل وهى سنة كونية .
- تؤكد الدراسة على أهّمية تحديث التّربية العربّية وتوجيهها في ضوء فلسفة التّربية المستمّرة.
- التعليم الأساسي والنظامي ينبغي أن يركّز بشكل أكبر على أهّمية مهارات التفكير العليا، وحل المشكلات. فمهارات استخدام أجهزة الذكاء الاصطناعي التي تؤهل الفرد لمواصلة تعليمه ذاتيا مدى الحياة بعيدا عن الأساليب الكلاسيكية التي لا تزال سائدة في الأنظمة التعليمية العربّية.
- توفير برامج مستمّرة ومتنوعة تلّبي احتياجات الشرائح الاجتماعية والمهنية المختلفة، كي تتمكّن بصورة مرنة من الحصول على أي نوع من التدريب ترغبه، وفي أي زمن تشاء، بعيدا عن القيود والضوابط الكلاسيكية
- إن إعطاء مسألة التدريب المستمر في أثناء الخدمة مكانة محورية لا يمكن أن يتم إلا في إطار منظومة تؤمن حقا بجدوى التّربية المستمّرة والتعليم المستمر مدى الحياة، ودوره وهدفه الاقتصادي والاجتماعي.
- على صنّاع القرار التربوي الاستفادة من معطيات التقنية الحديثة، خاصة وسائل التعليم عن بعد، وتوظيفها في تحقيق التعليم المستمر لجميع الشرائح المهنية بعيدا عن الطرائق التقليدية، الأمر الذي سيؤدي إلى إحداث تغييرات نوعية على كافة الأصعدة .

- الاعتراف بالتّربية المستمّرة كخيار استراتيجي لتطوير نوعية التعليم وجودته.
- العناية بالمكتبات المدرسية والوطنية ومراكز مصادر المعرفة والتعلم، وتجهيزها بالإمكانيات الحديثة للقيام بأدوارها، وعقد ورش عمل مستمّرة في موضوعات متشّعبة تلّبي احتياجات الطلاب والمجتمع المحلّي، وأن تبنى هذه المكتبات والمراكز في الأرياف والبوادي دون الاقتصار على الحواضر والمدن الكبرى، وأن تتم المساعي والاتصال بالقادرين من القطاع الخاص والأهلي لدعم هذه المراكز وتمويلها للقيام بأدوارها.
- ضرورة توفر الإرادة السياسية لتطوير وتجديد النظم التربوية وتوجيهها نحو تحقيق التنمية المستدامة وتوفير الموارد اللازمة لتحقيق ذلك.
- لا بدّ من اعتماد رؤى واستراتيجيات جديدة لنظم التربية تأخذ بعين الاعتبار تجديد وتطوير هذه النظم بشكل دائم ومستمر لضمان ملاءمتها ومواءمتها لمتطلبات المستقبل.
- لا بدّ لهذه الرؤى والاستراتيجيات من الاعتراف بأن التربية والتعليم ليست قصراً على المؤسسة المدرسية واعتماد نهوج تجديدية تؤكد على تكامل جميع الخبرات التعليمية المدرسية واللامدرسية وضرورة تكامل التعليم النظامي والتعليم غير النظامي.
- اعتماد التعليم والتدريب مدى الحياة والتعليم المستمر كأساس لتوفير فرص التعليم والتدريب ذي النوعية العالية للجميع.
- توسيع الاستثمار في استخدام تكنولوجيا المعلومات في مجالات التعليم المفتوح والتعلّم عن بعد ونشر المعرفة للجميع دون قيود مؤسسية أو مكانية.
- النظر إلى التعليم والتربية كمتغير أساسي في إحداث التنمية المستدامة مع الأخذ بعين الاعتبار التوجه نحو الاقتصاد المبني على المعرفة والزامية بناء مجتمع المعرفة.

- اعتماد مناهج ومحتويات تعليمية تؤدي إلى زيادة الوعي بالتنمية المستدامة في جوانبها الاجتماعية الاقتصادية والبيئية.

المراجع :

١- ابن منظور : لسان العرب، دار صادر، بيروت، الجزء الخامس عشر.

٢- أبو زكريا يحي بن شرف النووي الدمشقي .(١٩٩٧) : رياض الصالحين، بيروت، مؤسسة الكتب الثقافية

٣- أحمد شلبي(١٩٥٤): التربية الإسلامية.. نظمها، فلسفتها، تاريخها، القاهرة، مكتبة النهضة المصرية.

٤- أحمد فؤاد الأهوانى (١٩٦٨) : جون ديوى، القاهرة، دار المعارف.

٥- أدجار فور "وآخرون".(١٩٧٩) : تعلّم لتكون، ترجمة حنفي عيسى، اليونسكو، الجزائر، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع.

٦- بركات علي بركات. (٢٠٠٦): التعليم المستمر والتثقيف الذاتي، دار الفكر العربي، القاهرة

٧- جون ديوى .(١٩٨٧): التربية في العصر الحديث، ترجمة عبد العزيز عبد المجيد، ط٢، الجزء الأول، القاهرة، مكتبة النهضة.

٨- حسن عبد العال (١٤٠١هـ): التربية الإسلامية في القرن الرابع الهجري، القاهرة، دار الفكر العربي .

٩- حسين سليمان قدورة.(١٩٧٢) : الأصول التربوية فى بناء المجتمع، القاهرة، دار المعارف.

١٠- رالف ب. وين .(١٩٦٤): قاموس جون ديوى للتربية "مختارات من مؤلفاته "- ترجمة محمد على العريان، القاهرة، مكتبة الأنجلو المصرية.

١١- رزق منصور بديوى.(٢٠٠٨) : دور التعليم الجامعي المفتوح في تلبية احتياجات التنمية بسيناء، دراسة ميدانية، مجله كلية التربية بالزقازيق، العدد ٦٠

١٢- رفعت عمر عزوز.(١٩٨٨): التربية الاجتماعية في السنة النبوية، دراسة تحليلية، رسالة دكتوراه غير منشورة، جامعة جنوب الوادي، كلية التربية بقنا.

١٣- رفعت عمر عزوز.(٢٠٠٨): صفات المعلم في التراث التربوي الإسلامي، بحث مقدم إلى المؤتمر العلمي الدولي الأول، تكامل التربية والعلوم والآداب إعداد معلم القرن الحادي والعشرين، كلية التربية بالغردقة،٢٣- ٢٤ فبراير

١٤- زهراء احمد محمد.(٢٠٠٤) : دور التربية المستمرة فى تحقيق رسالة وأهداف جامعة القران الكريم، السودان، مجلة جامعة القران الكريم والعلوم الاسلامية، العدد٩

١٥- سيد إبراهيم الجيار.(١٩٧٧): دراسات في تاريخ الفكر التربوي، القاهرة، مكتبة غريب.

١٦- شكري عباس حلمي ومحمد جمال نوير.(١٩٨٢): تعليم الكبار، دراسة لبعض قضايا التعليم غير النظامي فى إطار مفهوم التعليم المستمر،القاهرة،مكتبة وهبة

١٧- صالح عبد العزيز.(١٩٦٤): تطور النظرية التربوية، القاهرة، دار المعارف.

١٨- عبد الحكيم كرام.(٢٠٠٦) :محاضرات في فلسفة التربية، وثيقة مقدمة للدعم البيداغوجي للطلبة، الجمهورية الجزائرية.

١٩- عبد الجواد نور الدين محمد.(١٩٨٣): الجامعة والتعليم المستمر،الرياض، دار العلوم.

٢٠- عبد العزيز جلال.(١٩٨٥) : تربية اليسر وتخلف التنمية، الكويت، سلسلة عالم المعرفة عدد (٩١).

٢١- عبد الغنى عبود (١٩٧٦): التعليم مدى الحياة في الإسلام دراسة تقدمت بها المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم (جامعة الدول العربية) إلى المؤتمر الدولي للتربية وتعليم الكبار الذي عقد في المدة من ٢١-٢٦/يونية١٩٧٦بدار السلام تنزانيا.

٢٢- عبد الفتاح جلال (١٩٧٧): من الأصول التربوية في الإسلام، المركز الدولي للتعليم الوظيفي للكبار في العالم العربي، سرس الليان، جمهورية مصر العربية

٢٣- عبد الفتاح الزنبقى. (٢٠٠٦): أصول التعليم والتربية وقيمتها المعرفية من خلال السنة النبوية في الحديث والفقه بين الرواية والدراية في المدرسة المالكية، جامعةالحسن الثاني المحمدية،كلية الآداب والعلوم الإنسانية الدار البيضاءالمغرب،الندوة العلمية الدولية الثالثة للحديث الشريف حول : القيمالحضارية في السنة النبوية الأمانة العامة لندوة الحديث

٢٤- عبد الله عبد الدايم.(١٩٨٨) دور التّربية والثقافة في بناء حضارة إنسانية جديدة. الثقافة العربّية الإسلامية بين صدام الثقافات وتفاعلها، بيروت، دار الطليعة.

٢٥- عبد الله عبد الدائم.(١٩٩٣): تعليم الكبار والقيم الإنسانية المستحّثة في ظلّ النظام العالمي الجديد، مجلة تعليم الجماهير، العدد ٤٠

٢٦- عبد المنعم الحفنى.(١٩٩٩): موسوعة الفلسفة والفلاسفة،الجزء الأول، ط٢، القاهرة،مكتبة مدبولى.

٢٧- على القاضي.(١٩٩٧): منهج التربية الإسلامية،صحيفة التربية، تصدرها رابطة خريجى معاهد وكليات التربية، القاهرة، العدد الثالث، السنة التاسعة والعشرون.

٢٨- على خليل مصطفى أبو العينين.(١٩٨٧): فلسفة التربية الإسلامية في القران الكريم، ط٣، المدينة المنورة، مكتبة إبراهيم الحلبي.

٢٩- على خليل مصطفى أبو العينين .(١٩٨٧): التربية الإسلامية في تنمية المجتمع الإسلامي،الركائز والمضامين التربوية، ط٢، المدينة المنورة، مكتبة إبراهيم الحلبي .

٣٠- عمر محمد الشيبانى.(١٩٧١): تطور النظريات والأفكار التربوية، بيروت، دار الثقافة.

٣١- المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم (١٩٨٦): التعليم المستمر في مجال تعليم الكبار. الأسس، المفاهيم، الإستراتيجية، بغداد، مطبعة الإرشاد.

٣٢- عيسى عبده.(١٩٨٣) : العمل في الإسلام، القاهرة، دار المعارف.

٣٣- محمد أحمد الرشيد.(١٩٩٩): رؤية مستقبلية للتربية والتعليم في المملكة العربّية السعودية، بحوث مؤتمر المملكة العربّية السعودية في مائة عام. الرياض.

٣٤- محمد عبد الحميد عيسى.(١٩٨٢): تاريخ التعليم في الأندلس، القاهرة، دار الفكر العربي.

٣٥- محمد معروف الدواليبي .(١٩٨٠): موقف الإسلام من العلم، دار الكتاب اللبناني، بيروت.

٣٦- محمود قمبر.(١٩٩٦): الجامعات العربّية المفتوحة ودورها في تعليم الكبار، دراسة مقارنة. التجارب العربّية في مجال الجامعات المفتوحة، المنظّمة العربّية للتربية والثقافة والعلوم. تونس .

٣٧- محي الدين توق.(٢٠٠٤): التّربية المستمّرة ودور الجامعات في تطّورها. رسالة الخليج العربّي. العدد الخامس عشر.

٣٨- محيى الدين صابر(١٩٩٩) :التحديات الحضارية وتعليم الكبار، في تعليم الكبار، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم.

٣٩- منير المرسى سرحان.(١٩٧٣) : في اجتماعيات التربية،ط٢، القاهرة، مكتبة الأنجلو المصرية.

٤٠- نبيل عامر صبيح.(١٩٩٨) : تعليم الكبار، استعراض تاريخي، علم تعليم الكبار، المنظّمة العربّية للتربية والثقافة والعلوم. تونس

٤١- نبيل علي.(٢٠٠٠) : تكنولوجيا المعلومات والاتصالات وتأثيراتها على عمليات التعليم والتعلم. الدراسات المرجعية للمؤتمر الثاني لوزراء التّربية والتعليم والمعارف في الوطن العربّي. دمشق، الدراسة الثالثة.

٤٢- نور الدين محمد عبد الجواد (٢٠٠٤): نظرية التربية المستمرة وتطبيقاتها في التربية الإسلامية، كلية التربية، جامعة الملك سعود .

٤٣- لينارد فريدمان.(٢٠٠٢) الجودة فى التعليم المستمر، ترجمة عبد الرحمن إبراهيم وحسن عطية، السعودية، الرياض، جامعة الملك سعود، النشر العلمي والمطابع.

٤٤- يعقوب حسين نشوان.(١٩٩١): أولويات البحث التربوي في تعليم الكبار. مجلة تعليم الجماهير، العدد ٣٨.

٤٥- يعقوب فام.(١٩٨٥): البرجماتزم أو مذهب الذرائع، بيروت، دار الحداثة.

46- Alexander,Neville(2005): Multilingualism, cultural diversity and cyberspace ; an African perspective ; Paper prepared for the Thematic Meeting ornagised by UNESCO in cooperation with the African Academy of Languages, the Government of Mali and the Agence Intergouvernementale de la Francophonie within the framework of the 2nd phase of the World Summit on the Information Society. Bamako, Mali, May.

47- Cropely, A.J & Dave, RH,(1977): Lifelong Education and the Training of Teachers. UNICCO Institute of Education 1977

48- Dave, RH,(1977): Foundation of Lifelong Education. Oxford Pergamon press.

49- Delors ,J & .Colleagues.(1995): Report of the international commission on Education for the Twenty First century. UNESCO, pp 1 – 16.
50- Edgar F & Others.(1972): "The Learning to Be The World of Education to Day and Tomorrow ". UNICCO, London, Marrap.
51- Frederick Eby.(1960) ,The Development of Modern Education (2nd ed)Englewood Cliffs, N.J :Prentice- Hall, Inc,PP 610-611
52- Gropely, A.J & Dave, RH,(1977): Lifelong Education and theTraining of Teachers .UNICCO Institute of Education.
53- Paul Belanger.(1994) : Lifelong learning, the Dialectics of Lifelong Education. The international Review of Education. 40 : 3 – 5,pp353.
54- Skager,R.,(1968):"lifelong Education and Evaluation Practice",UNICCO Pergamon Press.